المقتطف

الجزء الرابع من المجلد السابع والتسعين

نوفمبر سنة ١٩٤٠ — ١ شوال سنة ١٣٥٩

حرب المعادن

ما فتىء الحديد والصلب من عهد الفروسية في القرون الوسطى معدناً لاغنى عنهُ في الحروب. وكل ارتقاء جديد في أساليب الحروب يعزز الحاجة الى مقادير كبيرة من الصلب ، ولا سيما في العصر الحديث حيث الحاجة ملحة الى اصناف جديدة منهُ . فدروع البوارج ومعدن القذائف يحتاج الى صلب يقاوم الصدمة القوية . والطائرات والدبابات تحتاج الى صلب خفيف لا ينقصم . وصناعة الذخيرة الحربية تقتضي أدوات من انواع من الصلب تستطيع ان تعمل بها بسرعة عظيمة بغير ان تفقد حدَّها المرهف ودقتها المتناهية . وقد كشف علماء المعادن انك تستطيع ان تصنع اصنافاً من الصلب تتصف بهذه الصفات الخاصة بخلط الصلب بمقادير معيَّنة من الفلزات النادرة وهي المونبديوم والتنستن والكروميوم والفناديوم

كلُّ قارىء من قراء المقتطف يعلم ان النيكل يمنع الصدأ . ولكن قد يظلُّ يتوهم من يعلم ان الصلب المخلوط بالنيكل ضروري لصناعة عربات اندافع الضخمة . والمنغنيس لازم في صناعة الصلب كعنصر من عناصر الأخلاط وكعامل لنزع الاكسجين من اكاسيد الحديد في صنع الصلب ولا يحلُّ محلهُ عامل آخر في تحقيق الغرض الثاني . ولذلك يقول العلماء ان المعادن غير الحديدية non-ferrous هي طائفة أخرى من المعادن لاغنى عنها في الحروب الحديثة . وهي الألومنيوم والأنتيمون والنحاس والرصاص والمغنيزيوم والقصدير والخارصين (الزنك)

فالأجهزة الكهربائية وأجهزة الاذاعة والالتقاط اللاسلكية وأجهزة التصنت (تبين الاصوات) ومبرِّدات الطائرات والدبابات والجرارات tractors تحتاج الى مقادير غير يسيرة من النحاس

ولا ريب في ان الطائرات المصنوعة من الفلزات (١) جسماً وأجنحة ومحركات ومدافع غدت من ألزم لوازم الدول الحربية في هذا العصر. فاذا فرضنا ان وزن طائرة متوسطة يبلغ ٨٣٠٠ رطل فالمعادن التي تدخل في تركيبها كما يلي:

الألومينيوم ٥١٢٠ رطلاً. الحديد والصلب ١٦٢٠ رطلاً. النحاس ٣٦ رطلاً. المعادن الأخرى (من نيكل وكروميوم ومولبدينوم ومنغنيس وقصدير) ٦٠ — ٧٠ رطلاً من كل منها

فاذا طبقنا هذه الأرقام على ٢٤ الف طائرة وهو على ما يقال عدد ما تصنعهُ المانيا من الطائرات في السنة كانت حاجة المانيا الى مقادير من المعادن المتقدمة كما يلي:

الألومنيوم ٥٥٫٨٠٠ طن متري. الحديد ١٨٫٣٠٠ طن متري. النحاس ٣٫٩٠٠ طن متري. النيكل والكروميوم والمولبدينوم والقصدير والمنغنيز وغيرها مما يشبهها ٤٤٠٠ طن متري

إن فقر أرض المانيا بركازات المعادن حقيقة معروفة عند علماء الجغرافيا والجولوجيا. فأرضها لا تسدُّ إلاَّ ربع ما تحتاج اليهِ من الحديد والصلب (الى مثله) وسبع حاجتها من النحاس، وهذا بحسب احصاءات سنة ١٩٣٦—١٩٣٧. أما ما تخرجهُ من البوكسيت (ركاز الألومنيوم) والانتيمون والقصدير والمعادن غير الحديدية أي المولبدينوم والتنغستن والكروم والنيكل فلا يكاد يذكر أو لا وجود لهُ. ولكنها تقرب من حدود الكفاية في ما تستخرجهُ من أرضها من الرصاص والطارصين والمغنيزيوم. وما بلغتهُ الصناعات الكيرة في المانيا من الارتقاء العظيم كان يعتمد على ركازات المعادن الواردة الى المانيا من شتى أنحاء العالم فتصهر فيها وتنقى وتسبك

ولكن وارداً من هذا القبيل ينقطع — وفعلاً قطع — في اثناء حرب تكون فيها المانيا خصماً لدولة بحرية قوية كبريطانيا. ذلك ان موقع المانيا الجغرافي يجعلها كبيرة التأثر بهذا الحصر، وتوزيع المعادن في شتى أنحاء الأرض يجعل الوصول اليها متعذراً إلاَّ عن طريق البحر لأن معظم البلدان التي فيها مناجم هذه المعادن تابعة لبريطانيا وفرنسا او الولايات المتحدة على الأكثر

فما كادت هذه الحرب تنشب حتى قطع عن المانيا ورود النحاس من شيلي وروديزيا، والنيكل من كندا وكاليدونيا الجديدة(٢) والمنغنيس من البرازيل والهند، والقصدير من الصين وبوليفيا، واذا استثنينا من معادن خورة الحديد والألومنيوم والمغنيزيوم والمنغنيس والطارصين والرصاص، فاننا نجد نقصاً جدّاً فيها وفيما عداها

(١) استعملنا هنا لفظ ... وهو مأخوذ مقابل ... ولكنه ... مع أن ... عند أهل ... في المقالة الاولى

(٢) جزيرة في جنوب غربي المحيط الهادي ... وتبعد عن ...

وليس ثمة ريب في ان المانيا لم تخض غمار الحرب وهي عالمة بضعف اقتصادها الحربي من ناحية المعادن إلاّ بعد ما درت نفسها . فقد قضى علماؤها واقتصاديوها سنوات يبحثون جميع الأساليب التي تمكن المانيا من التغلب على هذا الضعف . ولعل أسهل الطرق لتحقيق بعض هذا الغرض هو طريق غزو البلدان التي تنطوي تربتها على معدن ثمين او مستودعات تحتوي على مقادير مخزونة من هذا المعدن النادر او ذاك

ولكن اذا نظرنا الى غزوة النمسا وتشكوسلوفاكيا من هذه الناحية فقط وجدنا انها لم تكن غزوة موفقة لأن كلتا الدولتين كانت تستورد المعادن التي تحتاج اليها المانيا ، ففائدة غزوها يجب ان تقاس بمقاييس أخرى اقتصادية وصناعية واستراتيجية ومعنوية . ولكنها لم تخل من فائدة. فقد كسبت المانيا من ثلاثة الى أربعة ملايين طن من الحديد كل سنة بغزوها . وكذلك مقادير يسيرة من الزئبق والأنتيمون والنحاس ، ولا سيما المغنيزيوم لأن أرض النمسا غنية بركازه المعروف باسم مغنيزيت magnesite

وكسبت المانيا من غزوة بولونيا مناجم للخارصين (الزنك) نفدت مكتفية من ناحيتها . أما الدانمارك فليس فيها معادن ، وأما النروج فكانت تصدر أدوات معدنية وكتلاً معدنية من الألومنيوم والنحاس والنيكل وغيرها من المعادن النادرة كالكروم والمولبدينوم اللازمة لتقسية الحديد . ولكن نروج كانت تستورد ركازات هذه المعادن ثم تحولها كتلاً صافية في مصانعها بالطاقة الكهربائية وهي قليلة النفقة فيها لأنها مولدة من مساقط الماء . إلاّ أن نروج فيها مناجم لعنصر المولبدينوم والفوز به من أهم ما كسبتهُ المانيا من هذه الناحية . فما يستخرج من هذه المناجم في السنة يكفي حاجة المانيا الى هذا المعدن مدى أشهر وهو لازم في صنع اخلاط من الصلب لا يستغنى عنها في الأجهزة الميكانيكية التي تسير بسرعة عظيمة كالطائرات

وأفضى احتلال هولندا والبلجيك الى اضافة مقادير من القصدير كانت حاجة المانيا اليها عظيمة . فركازات القصدير كانت تجيء الى هولندا من جزائر الهند الشرقية الهولندية وتصهر في مصانع أرنهم Arnhem على مقربة من الحدود الالمانية . ولكن الانكليز احتاطوا منذ بدء الحرب لاحتمال سطوة الألمانيين على هذه المصانع وما قد يخزن فيها من القصدير فقيدوا استيراد هولندا لهذا المعدن تقييداً شديداً

ومع ذلك فقد استطاعت القوات الألمانية أن تستولي على ألفي طن الى ثلاثة آلاف طن من القصدير عند ما غزت هولندا . (يبلغ ما تستهلكه المانيا من القصدير في السنة ١٣ ألف طن) ولكن أكبر غنم في المعادن ظفرت به المانيا بغزو الحربي هو ما غنمته من احتلال دوفية لوكسمبرج التي أنتجت في سنة ١٩٣٧ سبعة ملايين الى ثمانية ملايين طن من ركاز الحديد . وهو

تلك ما كانت تستوردهُ المانيا في السنوات الأخيرة . فازت به المانيا من حديد توكسمبرج وما ضمنت استيرادهُ من حديد أسوج يكفي حاجتها . ويقال بوجه عام ان قارة أوربة فقيرة بالمعادن ولا سيما اللازمة لاخلاط الصلب . ولذلك لا ينتظر ان يكفي الفرو خي مشكلة احتياج المانيا الى جميع أصناف المعادن إلاَّ اذا استطاعت ان تنزع سيادة البحار من الأمم البريطاني

هل ثمت حلٌّ آخر ؟

تستطيع المانيا ان تخفف وطأة هذه المشكلة باستغلال المناجم الفقيرة والمهملة وهي مناجم لا تصلح للاستغلال الاقتصادي في عهد السلام وازخاه . وتستطيع كذلك ان تعتمد على المخزون في اثناء السلام وعلى تحديد استهلاك المعادن في اغراض غيرحربية وعلى جمع المستعمل من المعادن في البيوت والشوارع والحدائق والدكاكين واجبارٍ على استنباط اخلاط جديدة تحلُّ محلَّ الاخلاط المعروفة بغير ان تحتاج في صنع الاخلاط الجديدة الى المعادن التي تفتقر اليها

اما الطريقة الاولى فقد طبقت في مناجم الحديد بيروزويك . فركاز الحديد هناك لا يحتوي الاَّ على نسبة يسيرة من الحديد . ومع ذلك زاد مقدار المستخرج منها من ٨ ملايين طن الى ١٣ مليون طن في السنة . (وعلى الرغم من ذلك تبقى المانيا محتاجة الى استيراد ٢٠ مليون طن في السنة تستورد معظمهُ الآن من اسوج[1] ولوكسمبرج ولورين

وقد زاد ما يستخرج من النحاس بالطريقة نفسها ولكن المانيا ما زالت تعتمد على الاستيراد في الحصول على ٨٥ في المئة مما تستهلكهُ من النحاس . ويزيد كذلك ما يستخرج من الرصاص والخارصين

ولما كانت أرض المانيا فقيرة بوجه عام في المعادن فالاعتماد على هذه الطريقة في زيادة المستخرج منها لا بدَّ ان يكون محدوداً

وهناك طريق الشراء والتخزين . وقد كانت هذه الطريقة مستطاعة في أثناء السلام عندما كانت المانيا قادرة على توجيه عنايتها الى الاستيراد من الخارج على قدر ما يسمح لها به اقتصادها . وفي طريقة سلمح طبعاً بتخزين المعادن منها التخزين الجيد والأنظمة لأن التلف لا يتطرق الى المعادن بعلة الفساد . ومن الحقائق المعروفة ان المانيا عينت التخزين منذ سنة ١٩٣٣ وقد بلغت التقديرات المخزونة من شتى المعادن من الأسعار الحربية نفيس في توسع معرفة هذه التقديرات بوجه دقيق . ولكن يرجح ان وجود النحاس في شتى انحاء العالم واحتمالات الموارد والاقتصاد بتنقيح يباحث وسيلة تمكنه من معرفة الموارد التي المانيا منها بوجه التقريب إلاَّ أن المانيا حربية منها الآن غير معروف لأن التوسع في الصناعة الحربية والاستهلاك الحربي اقتضى حتماً توسعاً في استهلاك الموارد ولا سيما في استهلاك المخزون

[1] كانت المانيا تستورد من مناجم السويد بوجه خاص ثلث ما يستورده من الحديد الذي يستخرج

غير أنّ الاستيراد للتحرّي عمل يقتضي نفقة كثيرة ، قد ترهق الاقتصاد القومي . فلو ارادت المانيا مثلاً ان تحرم ما تستهلكه من النحاس فقط مدى سنة كاملة لأنفقت ذلك منها انفاق خمسين مليوناً من الدولارات . فكيف توفّي الثمن الاّ بالذهب، وهو قليل في يدها، أو بالاصدار والاصدار كان مفيداً كذلك بأساليب الاكتفاء الذاتي . وعلى كل حال فمعادن التي لا توجد في اوربا الآن لا سبيل الى استيرادها من الخارج ولا بد من الاعتماد على المخزون منها الى أن ينفد

ثم ان الحكومة الألمانية جرت منذ سنة ١٩٣٤ على تحويل المعادن من استعمالها في صنع الأدوات المنزلية وغيرها الى استعمالها في الصناعة الحربية . فالنحاس الذي كان يستعمل في صنع أنابيب حنابون الحلاقة ومسجونات الاسنان وعلب حفظ الفواكه والبحوم يستعمل الآن في لحام سبردات الطائرات . وكذلك الالومنيوم والنحاس والنيكل والكروم معادن كانت تستعمل في صنع الأواني المنزلية فحوّلت الى صنع الأجهزة الحربية . ولعلّ أبلغ دليل على ذلك ان رفوف النجار خالية فلا تستطيع أن تشتري اناء من الالومنيوم أو ما أشبه

وكانت النقود تحتوي مقادير من النحاس والالومنيوم والبرونز فحلت محلها نقود من الزنك . وفي يناير سنة ١٩٤٠ صدر أمر بحظر استعمال الالومنيوم في أغراض المدنيين واقترح أن يحلّ محلّهُ وفقاً للحاجة والضرورة الزنك أو الصلب أو العجائن المقشاة

ولا ريب في أن منع الأهالي من إستعمال هذه المعادن وحظر إصدارها قد مكّن الحكومة الألمانية من مقادير وافرة أخذت الآن تنقص رويداً رويداً

ولكن استعمال المعادن في أغراض الكان واستردادها مما أستعملت فيه متفاوت بتفاوت المعادن نفسها ووجوه إستعمالها . فالنفيس يدخل في صنع خليط خاص من الصلب ولكنه لا يستردّ منه وكذلك يتعذر استرداد التنغستن والمولبدينوم والنيكل والكروميوم من الأخلاط التي تدخل في تركيبها بغير نفقة عظيمة لا تسوغهُ

أما الحديد المستعمل فسهل صهرهُ وتنقيتهُ وصبهُ من جديد . وفي الولايات المتحدة يقدر ما يرجع الى أفران الصهر من الحديد بـ ٦٥ في المائة . وهذا يفسر كثرة إعتماد اليابان على شراء الحديد المستعمل من الولايات وبلجيكا كذلك تأثير حظر إصدار هذا الحديد إلى جميع البلدان ماعدا بلدان القارتين الاميركيتين وبريطانيا وقد بدى، في تنفيذه يوم ١٥ أكتوبر ١٩٤٠

ولكن معدل إسترداد الحديد والصلب في أثناء الحرب ينقص لأن جانباً كبيراً من الفائض لا يسترد مطلقاً . وقد عمدت ألمانيا الأمبراطورية بين سنة ١٩١٤ و ١٩١٨ الى تجريد الكنائس واليوت والمطابخ والحدائق مما فيها من مصادر الحديد والنحاس المستعملين كالأواني والصنوف والحواجز والقناديل والأجراس وجازتهم في ذلك ألمانيا النازية منذ أن تقلد أعنتها زعيم الحزب سنة ١٩٣٣

ولكن ميدان علم المعادن مجال للابداع والابتكار. وإذا كان علماء الكيمياء لا يستطيعون ان يحوّلوا العناصر بعضها الى بعض تحويلاً تمنّيًا فانهم يستطيعون ان يستحدثوا اخلاطاً من معادن متاحة فهم تحلّ محلّ معادن أو أخلاط مصنوعة من معادن غير متاحة

ولا يخفى ان لكلّ معدن يتصف بخواص معيّنة تجعله أصلح ما يكون لاستعمال خاص. فالقصدير والنيكل يقاومان التآكل. والنحاس موصل جيد للحرارة والكهربائية. والمغنيزيوم والالومنيوم خفيفان (قلة الثقل النوعي). والمعادن غير الحديدية تضيف الى الصلب خواص القساوة أو حسن السقي أو قدرة تحمل الثقل والضغط بغير ان ينقصم. ولكن فوارق الخواص بين كثير من المعادن ليست مانعة لاستعمال احدها محلّ الآخر في بعض الأحيان. فالمانيا المحصورة تحاول ان تستعمل الخارصين والالومنيوم والمغنيزيوم — وهي متاحة لها في بلادها او البلاد التي احتلتها او تستطيع الاستيراد منها — بدلاً من المعادن التي قطع واردها عنها بفعل الحصر البحري

ومن المعادن التي لا سبيل للمانيا اليها الآن القصدير وهو يستخرج من مناجم بوليفيا بامريكا الجنوبية والصين وخيزران الهند الشرقية الهولندية. وقد كان القصدير يحسب الى عهد قريب من المواد التي لا غنى عنها في لحام مفاصل الطارات ومبرّدات السيارات وغير ذلك من وجوه الصناعة الحربية. ويروى الآن ان الالمانيين صنعوا لحاماً استعملوا فيه الزنك محل القصدير. وعلب القصدير كثيرة الاستعمال في صناعة الأطعمة المحفوظة و٤٥ في المائة مما تستهلكه الولايات المتحدة الاميركية يتفق في صناعة هذه العلب. ولذلك عمد الالمانيون الى إحلال الورق المقوى محلّ القصدير في صناعة علب من هذا القبيل حيث يصلح ذلك. وتجرّب تجارب الآن في صنع علب من الصلب المغطى بطبقة من الالومنيوم لقيام مقام القصدير في هذه الصناعة

ولعلّهم تحوّلوا من هذا القبيل تمّ في استعمال الالومنيوم بدلاً من النحاس وأخلاط الالومنيوم والمغنيزيوم بدلاً من أخلاط صلب النيكل وصلب الكروم. وصنعوا أسلاك الكهربائية من الألومنيوم بدلاً من النحاس

وهذه بعض الزيادة الكبيرة في ما استهلكه المانيا من الألومنيوم فقد زاد من ٩٠ الف طن في سنة ١٩٣٢ و ١٦٨٠٠٠ طن في سنة ١٩٣٨. وكان المهندسون الكهربائيون الأميركيون والألمانيون يشكون في فائدة كل هذا في تمكين المانيا من التغلب على عوزها الى النحاس. ويقولون ان التوسع في استخراج الألومنيوم من ركازه يقتضي زيادة فاحشة في ما تنفقه من الطاقة الكهربائية. فتحويل ركاز الألومنيوم الى الومنيوم يصلح لشتى الأغراض يقتضي من الطاقة الكهربائية نحو ٧٠ ضعف ما يقتضيه استخلاص طن من ألواح النحاس من

وكازه . وجميع الأعواض التي تبتكر في هذا الوجه او ذاك لا تصنع من لا شيء بل تقتضي انفاق قدر كبير من الطاقة الكهربائية . فالمطاط الصنعي لا يقتضي استخراجه من الأشجار ، إنفاق طاقة كهربائية ما وإنما تنبته فتحتاج الى صانة ميكانيكية . أما «البوتا» وهو العوض الصناعي الذي اخترع ليغني عن المطاط الطبيعي فيقتضي صنع كل طن منه انفاق من ٢٥ الف الى ٣٠ الف كيلوط ساعة من الطاقة الكهربائية . والأمثلة على ذلك متعددة

فاذا انتقلنا الى المعادن غير الحديدية — وهي كما قدمنا لازمة ولا غنى عنها في صناعة اخلاط خاصة من الصلب — فالاستغناء والتبديل يكادان يكونان متعذرين . قد يستغنى بالمولبديتوم عن التنستن في بعض وجوه الاستعمال ولكن ٩٠ في المائة من المولبديتوم يستخرج من الولايات المتحدة . والمولبديتوم الأميركي غير متاح لالمانيا . وما يصدق على المولبديتوم يصدق على النيكل فان ٩٠ في المائة أو أكثر منه يستخرج من مناجم كندا

وأخيراً ماذا تستطيع المانيا ان تستورده من المعادن التي تشتد حاجتها اليها باختراق نطاق الحصر البحري او بالاستيراد عن طريق احدى الدول المحايدة ؟

لا ريب في ان الاستيراد يقتضي توفية ثمن البضاعة المستوردة إما ببضاعة تصدرها المانيا، وإما « بمباركات متجمدة » تحتفظ بها المانيا لحساب صاحب البضاعة التي تستوردها، وإما ذهباً او نقداً أجنبياً . وليس مرادنا البحث في هذا الفصل في قدرة المانيا على الاصدار ، ولكننا نريد ان نشير الى ان قدرتها على الاصدار خارج أوروبا مقيدة بقيود الحصر البحري لأن سفن الأسطول البريطاني تصادر كل بضاعة صادرة من بلد محايد اذا ثبت لها ان أصلها المانى . أما السفن الألمانية نفسها فلا تملك إبحار الآن . ثم إن قدرة المانيا على الاصدار الى البلدان المجاورة لها في أوروبا محدودة بعجزها عن الحصول على القطن والصوف والجلد وهي من أركان صناعة الاصدار . ويضاف الى ذلك ان نشاط الصناعات الحربية وانصراف الجهد اليها يستغرقان الجانب الأكبر من نشاط العمال ووسائل النقل ويستأثران بمعظم المواد المتاحة للصناعة . فتوفية ثمن المستورد بالاصدار يكاد يكون متعذراً

أما توفيته « بمباركات متجمدة » — اي استيراد البضائع وتقييد ثمنها لحساب المصدر في المانيا — فستطاع تطبيقها على موارد بلدان جنوب أوروبا الشرقية الصغيرة التي تخشى بأس المانيا ولا تستطيع مقاومتها . ولكن روسيا واليابان لا يمكن ان تأبيان إلا استيفاء الثمن فاذا لم تستطع المانيا ان توفيهما ببضائع وخامات تصدرها اليهما فعليها ان توفي الفرق ذهباً . وقد كان احتياطي الذهب الألماني عند بدء الحرب يسيراً جداً . وكان معروفاً ان خزائن البنوك في كوبنهاجن وأوسلو وأمستردام وبروكسل تحوي مبالغ غير يسيرة من الذهب تقدر بعشر مئات الملايين

من الدولارات. فلما احتلتها الجيوش الألمانية وجدتها خاوية لأن الذهب كان قد نقل الى نيويورك او الى لندن. أما في نيويورك فقد «جمّدت» أموال معظم البلدان التي احتلها الألمانيون وأما في لندن فقد وضعت رهن تصرف الحكومات التي بقيت محاربة كهولندا وبلجيكا وبولوج

ولنكن لنفرض ان المانيا تستطيع ان تؤدي ثمن ما تستورده، فهل تستطيع ان تستورد؟ إن نظرة واحدة الى الخارطة تشير الى قدرة المانيا على الاستيراد من روسيا ودول جنوب أوربا الشرقي وإيطاليا. أما إيطاليا فتحتاج الى استيراد معظم ما تحتاج اليه ويكاد يكون ما تحتاج اليه نفس ما تحتاج اليه المانيا. ولكنها تستطيع ان تصدر الزئبق وركاز الألومنيوم، ولذلك نجدها مضطرة ان تنافس المانيا في ما تستطيع ان تستورده من سائر المعادن من الفلزات كالحديد والنحاس وغيرهما إلا اذا رضيت ان تكرّ نفسها في سبيل حليفتها. أما روسيا السوفياتية فليست غنية الموارد بالمعادن وهي تستورد من الخارج النحاس والرصاص والقصدير والنيكل والمنغنيز والمولبدينوم والأنتيمون — وهي هي المعادن التي يحتاج اليها الألمانيون. ولكن روسيا غنية بالمنغنيز إلا ان مناجم المنغنيز الروسية تبعد أكثر من الف ميل عن مصانع الصلب الألمانية فلا بدّ ان تقوم مصاعب النقل دون توريد مقادير وافية من المنغنيز الروسي الى المانيا

ودول جنوب أوربا الشرقي، فيما مناطق تحتوي على ركاز الألومنيوم والنحاس والمنغنيز والكروم والرصاص والأنتيمون ولكنها لم تستغلّ استغلالاً وافياً حتى الآن. وليس في علم المعادن ما يدلّ على ان مواردها غزيرة. ومن المؤكد ان ما يستخرج من النحاس في يوجوسلافيا وما في الوسع استخراجهُ منها لا يكفي ليحل محل ما كانت المانيا تستورده من الشيلي ورودیزيا وعلى كل حال لا بدّ لها من ان تحمل لايطاليا نصيباً فيه

وقد كانت ايطاليا الى ان دخلت الحرب، باباً يتسرّب منه الى المانيا كثير مما تحتاج اليه. فلما دخلتها تحتم الحصر البحري فأقفل هذا الباب. ولا يعلم الآن مدى ما تستورده المانيا من الخارج عن طريق روسيا. وليس لدولة اخرى من الدول الباقية على الحياد شأن يذكر في مساعدة المانيا على اختراق نطاق الحصر البحري إلا روسيا ولاسيما عن طريق ڤلاديفستوك في الشرق الأقصى. وقد ساعدت الحكومة الأميركية على تعزيز الحصر البحري البريطاني بفرضها الحظر الأدبي على عدد وخدمات صناعية معينة لازمة للصناعة الحربية. ففي ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٣٩ حذّر الرئيس روزفلت الأميركيين من بيع المخزون في الولايات المتحدة من القصدير والمنغنيز والكروم والمطاط، لان هذه المواد لازمة لمشروع الدفع الأميركي فيعد للاجانب عمل غير وطني. وبنى على ذلك مجلس وزراء البحرية والحربية للذخيرة مصدر بيان قال فيه ان هذه المواد المستوردة التي يركا من الخارج ضرورية للدفع. وأنه التجار فان النحاس قد يتوسل بوسائل اخرى اذا اخلق التعدين الودّي في هذه الناحية. ويظهر ان التجار

لم يكترثوا اولاً لهذا التحذير وأبلغهم مستشاروهم من رجال القانون ان لا حق لهذا المجلس ان يمنع الصادرات تكثر الأنباء على التعطش والتصدير . وكان اكبر المشترين لحساب الحكومتين اليابانية والروسية . فارتفع صوت في مجلس النواب البريطاني ، بأن اصدار التصدير الى اميركا من مستعمرة الملايو تم على شرط أن لا يعاد إصداره . ولم تهدد الحكومة البريطانية بتقييد اصدار التصدير الى اميركا ولكن هذا التنبيه كان له التأثير المنتظر

وفي دسمبر سنة ١٩٣٩ اصدر الرئيس روزفلت بياناً اعرب فيه عن أمله بأن لا يعمد اصحاب مصانع الطائرات وأجهزة الطائرات في أميركا ومنتجي مواد أخرى ضرورية في صناعة الطائرات الى اصدارها لدول تستعمل طائراتها في قذف السكان . وتلت وزارة الخارجية على بيان الرئيس بإرسال كتاب الى منتجي معدنين لازمين في صناعة الطائرات وهما الالومنيوم والمونيديوم ينبههم الى رغبة الرئيس . وكانت أميركا قادرة على حظر إصدار المونيديوم الى العالم فتحرمه منه لأنها تنتج ٩٠ في المائة من مقدار انتاجه العالمي . ومع أن الرئيس ووزارة الخارجية لم يذكر اسم دولة ما فقد فهم المنتجون أن المقصود هو روسيا واليابان (روسيا لقذفها القنابل على سكان فنلندة واليابان لقذفها القنابل على سكان الصين) . أما المانيا فالاصدار المباشر إليها كان ممنوعاً على كل حال بفعل الحصر البحري . وفعلاً قل إصدار هذين الى اليابان وروسيا حتى كاد ينقطع وزاد مايصدر منهما الى إيطاليا ثم انقطع في مارس

وأخيراً أذاع الرئيس قرار حظر إصدار البترول ومشتقاته والحديد المستعمل والأدوات البصرية اللازمة في الحرب . أما البترول فحظر اصداره الى كل بلد خارج القارتين الأميركيتين . وهذا يؤثر في بريطانيا وروسيا والمانيا واليابان وغيرها على السواء . ولكن كندا تستطيع أن تشتري من أميركا بحكم كونها في القارتين الاميركيتين ثم تعيد اصداره الى بريطانيا اذا شاءت . وأما حظر الحديد فشمل جميع الدول ماعدا دول القارتين الأميركيتين وبريطانيا

والخلاصة أن هذه الحقائق عن حرب المعادن لا يمكن أن تتخذ دليلاً على أن قلة المعادن وحدها عامل كاف من عوامل هزيمة المانيا لأن نتيجة هذه الحرب ستقرر باشتراك عوامل متعددة منها الاقتصادي والصناعي والنفسي والعسكري . ولكن ما يعوز المانيا من المعادن سيكون ذا منزلة كبيرة في النتيجة النهائية . فاضطرارها الى استعمال ركازات ضعيفة من المعادن الحيوية وإستيراد ما لا تجده في أرضها أو أراضي البلدان المحتلة أو المجاورة بطرق طويلة مما يرهق الاقتصاد الألماني ويجب أن نضيف الى ما تقدم أن قوة أوربا بوجه عام فقيرة بالمعادن ، فاذا شاء هتلر أن يشن منها وحدة إقتصادية كبيرة مكتفية فعليه أن يوسع نطاق فتوحه وراء حدودها

الارتقاء الطبي

وتأثيره الاقتصادي والاجتماعي

مهداة من تحرير « المقتطف »
الى الدكتور علي ابراهيم باشا

تضاعف عدد سكان الأرض في خلال القرن الماضي . فهو الآن يزيد الف مليون نسمة عما كان عليه في سنة ١٨٤٠ ولو أن أحداً قال للقس مالتوس ان سكان الأرض سيبلغون الفي مليون نسمة سنة ١٩٤٠ لأنكر ان ذلك سيستطاع في خلال مائة سنة أو بضع مئات من السنين . فقلة الموارد بالنسبة الى الناس وزيادتهم كانت في رأي مالتوس حائلاً دون ازدياد عدد سكان الأرض زيادة تبلغ الضعفين . ومع ذلك تضاعف عدد السكان ، واذا كان معدل زيادتهم أخذ يقل الآن فما ذلك لقلة الطعام

وموطن الخطإ في رأي مالتوس اعتباره الانسان ذا قدرة محدودة على الانتاج . ولكن التقدم العظيم في شتى العلوم التطبيقية والارتقاء في علوم الطب نقضا هذا الرأي من أساسه . وعلى الرغم من زيادة السكان زيادة كبيرة فقد شاء الانسان بتقدمه العلمي الصناعي . فزادت قدرته على الانتاج أكثر مما زاد عدد السكان ، أي أكثر من الضعفين

بل ان قدرة الفي مليون نسمة على الانتاج الآن ، تفوق قدرة الف مليون الذين كانوا يغطون سطح الكرة قبل قرن من الزمان ، بضعة أضعاف لا ضعفين فقط . وهذا التقدم مرده في المقام الأول الى الآلات التي استنبطها الانسان واستعان بها على الانتاج . والمكن يجب ألا ننسى أن هذا التقدم يرد كذلك الى كون الانسان نفسه أصبح من حيث هو جهاز منتج ، أكفأ وأقدر مما كان . ولا ريب في أن المخترعين والمهندسين قد ساهموا بنصيب كبير في هذا الارتقاء . ولكن يجب ألا نغفل ما للارتقاء الطبي من أثر في كل بحث يعالج زيادة السكان والتعطل عن العمل وهما لباب المشكلات الاقتصادية التي تعانيها هذا العصر

فمن نحو مائة سنة كان جزء كبير من سطح الأرض عاجزاً عن انتاج غير ما يزيد على مجرد ما يحتاج اليه سكانه . وكانت موارد تلك البقاع وافرة مثل مواردها الآن . ولكنهم لم يستعملوها حينئذ لاستغلال الوافي ، لأن الشعوب البيض التي كان في وسعها هذا الاستغلال لم تكن قد تقدمت تقدمها العلمي الحديث . كانت عاجزة عن السكن فيها ، وشعوبها الأصلية لم تكن قد تقدمت الى الأسباب

الجديدة من البيض . فالأوبئة والأمراض كالملاريا والحمى الصفراء والتيفوس ومرض النوم كانت تحول دون تمكين أولئك الشعوب من السكن مدّى صوبلاً في الاقطار الاستوائية وما يليها . ولكن ارتقاء العلوم الطبية في خلال نصف القرن المتصرم أتاح للانسان السيطرة على هذه الأدواء وأتاح لهُ مناطق استوائية شاسعة فاستطاع بعلمه وخبرته أن يزيد انتاجها اضعافاً مضاعفة . ونظرة عجلى تسفر عما لقهر الملاريا والحمى الصفراء من فعل في زيادة انتاج السكر في كوبا والفواكه في جمركا المتوسطة والبن في البرازيل والمطاط في افريقيا . ولا ريب كذلك في ان الارتقاء الصحي في مصر — وان كان المستوى لا يزال منخفضاً بالقياس الى البلدان الأوربية والأميركية — كان ذا أثر في زيادة انتاجها الزراعي . وقلما نجد مادة من منتجات الارض لم يزد انتاجها زيادة كبيرة بفتح مناطق جديدة للاستغلال كانت قبل خمسين سنة موصدة تفشي الأمراض فيها ، ولا ريب في ان هذا كان له أثر بارز في ميادين السياسة والتنافس السياسي والاقتصادي بين الدول

فالبلدان التي كانت مهملة غدت مثاراً للتنافس بين الدول على امتلاكها او السيطرة عليها ونحن عندما نفكر في عمل اقتصادي عظيم كترعة بنما يتجه الفكر أولاً الى أنها ظفرٌ هندسيٌّ عظيم ، ونحن في حاجة الى تبيان ما كان لها من منزلة في توسيع نطاق التجارة وتسهيل سبلها بين ساحلي أميركا ثم بين أوربا والشرق الأقصى بتقصير المسافة التي يتعين على السفن اجتيازها . ولكن العلوم الهندسية — مهما تبلغ من الارتقاء والابداع — كانت عاجزة عن إنجاز الترعة لولا التقدم العظيم في الطب الاستوائي . فالتغلب على الملاريا والحمى الصفراء أتاحا للجنرال جوثالس Goethals الأميركي النجاح حيث أخفق المهندسون الفرنسيون

مقاومة الأوبئة وانشاء المدن

ليس بين الأوبئة التي اصابت الجنس البشري وباء يفوق الملاريا في عدد ما اقتضاه من ضحايا بشرية . ثم إنهُ دون الطاعون الدملي من حيث شدّة وطأته وفتكه وسرعة تفشيه في مدة قصيرة ، ولكنهُ منتشر انتشاراً واسعاً في المناطق الاستوائية وما يليها من جنوب المناطق المعتدلة . ولا يعرف في تاريخ الطب مرض كالملاريا ما فتىء منتشراً بينكم من مدى القرن وخمس مائة سنة متصلة . عدتهُ اساطورية أثينا عدوّها الألد ، ولم استطاعت أثينا ان تقهر الملاريا تقهرت العالم . وروما كذلك منيت في خلال تاريخها بضرر الملاريا . فمثل هذا المرض من جنوده أكثر مما سقط منهم في جميع ميادين القتال . فالمدينة الخالدة بنيت الأكمات السبع التي تحيط بها بضائع . ثم الآن انها مثوى للموتى . فمكانت روما عصاب بحمى كل صيف

فأدى ذلك الى هزال اهلها ووهن قواهم حتى ذهب فريق من المؤرخين الى ان ذلك كان من اسباب تداعيها وسقوطها

وقد بذلت السلطات الرومانية جهداً عظيماً لكشف سبب الملاريا وكادت تنجح لأنها اقتنعت بأن هذا الداء الوبيل ينشأ في الليل ، اي انه مرض ينتقل على أجنحة هواء الليل. ولذلك ذهب الرومان الى ان أنجع الوسائل في تجنبه هي ابصاد النوافذ والأبواب من غروب الشمس الى شروقها . ولكن الرومانيين لم يتخطوا ذلك الى استبانة الصلة بين « هواء الليل » والبعوض. والواقع ان العلم لم يضع اصبعه على المجرم الحقيقي في هذا الداء — وهو بعوض الانوفيل — إلا بعد انقضاء الف وخمس مائة سنة على سقوط روما

نعم إن بعض الباحثين ظنّ ان البعوض هو المجرم ، ولكن ما العمل والبعوض أنواع متعددة ؟ فكان لا بدّ من تجارب متعددة طويلة تقتضي من المجربين صبراً وبراعة قبل ان ينفرد نوع واحد من مائة نوع من البعوض وثبت الجرم عليه . حتى معرفة النوع وحدها لم تكف لأن أنات ذلك النوع دون الذكور تنقل طفيليات المرض . أما كيفية انتقال العدوى بواسطتها فحيرت الباحثين طويلاً الى ان وفقوا الى معرفة جميع مراحلها وهي مراحل حياة الطفيلي نفسه في البعوض وكريات الدم الحمر في الانسان . وبعدما عرفت هذه الحقائق جيداً عانى الأطباء مشقة عظيمة في اقناع الجمهور والسلطات العامة بأن السيطرة على الملاريا والحمى الصفراء مستطاعة بالقضاء على البعوض في مصادره حيث يتوالد وذلك بصب الزيت على المياه الراكدة

ما تقدم عن العمليات فقد ظنّ أكثر الأدباء إسترفاقاً للقارئ وتأثيراً في النفوس ، تبعث الفاظ إسحق الهلع في القلوب لشدة ما تكلم بالناس في وقت قصير . وقد يكون ما روي عن عدد الذين ماتوا به مبالغاً فيه . فثلوث الأسود (١٣٤٨ — ١٣٥١) تقضي — على ما يقال — على نصف الشعب الانكليزي . وفي بعض النصوص ان الأدبرة في إنكلترا سجلات دقيقة تدلّ على أن معدّل الوفاة فيها بلغ النصف . ولكن من المرجح أن معدل وفيات الصوامع والأديرة كان أعلى من معدل وفيات السكان به لأن الرهبان كانوا يعودون المرضى لموآسيهم ولممارسة الشعائر الدينية الأخيرة لدى الوفاة . فعرضهم تعليم حد الاصابة بالعدوى أكثر مما يتعرض لها عامة الناس . ولما كان السكن في الدير يقتضي الاختلاط دون سعة إنتشار العدوى بين الرهبان كانت أكبر من فرصة إنتشارها في الرئات حيث عدد السكان أكثر واختلاطهم أقلّ . فالمرجح أن معدل الوفيات بين السكان العاديين في خلال تلك السنوات السود كان أقل من النصف

والدليل على أن أوربا أصيبت بوطأة الطاعون مراراً بين القرن الثاني عشر والقرن السادس عشر وكان من ثمرها القضاء على ثلث الناس او ثلثيهم على قيد الحياة ، والمعروف بخلاف الملاريا

في أن أكثر ضحاياه كان في المدن بينما أكثر ضحايا الملاريا كان في الريف . ولذلك تأثرت المدن بالطاعون الدملي ولا سيما المرافىء التي كانت أشد المدن تعرضاً لبراغيث الناقلة للطاعون محمولة مع القوافل التي تكثر في السفن الآتية من الشرق

ولا يحتمل أن يكون في أوربا كلها مدينة واحدة — إلى نهاية القرن السابع عشر — كان معدل الولادة فيها أكثر من معدل الوفيات . فنمو المدن وتزايد عدد سكانها كان على الغالب نتيجة لهجرة الناس اليها من الريف لا نتيجة لزيادة معدل الولادات على معدل الوفيات

كذلك نرى أن إرتقاء علوم الطب والصحة العامة هو الذي أتاح للمدن الكبيرة فرصة النمو والازدهار . ولو لم يفز الأطباء بالأساليب التي مكنتهم من السيطرة على الملاريا والطاعون الدملي والجدري والتيفود والدوسنطاريا لما كان في المستطاع قيام المدن الكبيرة في شتى أنحاء العالم في خلال القرن المنقضي

وإذا قلنا هذا فقد قلنا إنهُ لولا هذه الأساليب لما مهد الطريق لنشوء الصناعات الكبيرة لأن الصناعات الكبيرة مركزة إما في المدن الكبيرة وإما في ضواحيها . ولبست هذه الحقيقة وليدة الاتفاق . فالصناعة تطلب التوفير في النفقة بالتوسع في العمل حتى يتاح لأصحابها توزيع النفقات الثابتة على أكبر مقدار من البضائع المنتجة . فالصناعة تجذب ألوف العمال اليها . وهؤلاء يفضلون ان يعيشوا على مقربة من مقرّ عملهم . ومع أن اختراع السيارة أتاح للعمال الابتعاد قليلاً عن مقر العمل فمن النادر أن تجد منهم من يرضى أن يسكن ضاحية تبعد أكثر من نصف ساعة بالسيارة عن مقر عمله . فارتقاء الصناعة اذن يقتضي نشوء المدن الكبيرة وازدحامها . وهذا لا يتاح الا اذا كانت هذه المدن بمنجاة من عواقب الازدحام . وارتقاء العلوم الطبية وعلوم الصحة العامة أتاح ذلك . فقاطن المدينة مصون — الى حدّ بعيد — من الأمراض التي تنقل جراثيمها في الماء أو بواسطة الحشرات

ولا ريب في أن التغلب على حمى التيفود كان من أهم آثار هذا الارتقاء وأشدها استرعاء للاهتمام . ففي خمسين سنة كانت المدن معرضة أشد التعرض لتفشي وبئة التيفود فيها . ولكننا نجد الآن مدناً كثيرة في أوربا وأميركا لا تعرف فيها اصابة بالتيفود على مدار السنة . فعندما نشر السر وليم اوسلر الصبغة الأولى من كتابه الضخم في « الطب » وقف من تلقاء نفسه على بحث التيفود أكثر مما وقفهُ على أي مرض آخر . أما الآن فالتيفود من الأمراض النادرة في أميركا — بحسب قول المجلة الطبية الشهرية — وكثيرون من الأطباء يقضون عاماً كاملاً بغير أن يشاهدوا اصابة واحدة بها

في الحرب الأميركية الاسبانية (سنة ١٨٩٨) كان من كتيبة من الجيش الأميركي عدد الذي

عشر الفاً معسكرة في بلدة جاكسونفيل بولاية فلوريدا فأصيب منهم ثلاثة آلاف بالتيفود . وفي السنة الاخيرة من الحرب العالمية الاولى — اي بعدما دخلت اميركا الحرب — نزل في البلدة نفسها فرقة كاملة تعدّ ٢٥ الفاً للتدريب فلم يصب احدٌ من رجالها بالتيفود مع ان نزولها في تلك البلدة كان أطول من نزول المكتيبة الأولى

ان صون الصهاريج التي توزّع مياهها على المدن من التلوث بجراثيم التيفود، وترشيح الماء وإعداد الحفن الواقية منها جعلت ازدحام الناس في مناطق ضيقة من الأرض — اي في المدن والمعامل والمعسكرات — أمراً مستطاعاً بغير ان تفشى فيها حمى التيفود الوبيلة

أثر تقدم الجراحة

ثم هناك التقدم في علوم الجراحة وفنونها . ولا ريب في أن الصناعة جنت فائدة كبيرة من التقدم الظاهر في معالجة الاصابات الناشئة عن العوارض الصناعية . وقليل من الناس يدرك مدى ما كانت تخسره المصانع من جراء إصابات العمال فيها . وكثرة هذه الاصابات لم تكن ناشئة عن خلل في الأجهزة الميكانيكية التي يديرها العمال فحسب بل مردُّ بعضها الى ضعف البصر في كثير من الأحيان . فلما ارتقى علم الطب البصري أصبح في وسع الأطباء كشف ما في عيون العمال من خلل واصلاحهُ . فاجتنب بذلك كثير من الاصابات

وكانت الاصابات التي تقتضي البتر — ولو كان بتراً يسيراً — كثيراً ما تفضي الى السم والوفاة . ومع ان اللورد ليستر كان أشهر جرّاحي عصره والى مباحثه ينسب كثير من التقدم الجراحي إلاّ أن معدّل الوفيات في عملياته التي كان يتولاها في مستهل حياته الجراحية كان يبلغ ٤٥ في المائة

أما الاصابات الصناعية التي لم تكن تفضي بتراً فكانت تفضي الى ابتعاد العامل عن عمله مدة طويلة قبل ان تندمل جروحه ويشفى مما ألمَّ به . فلما أتقنت وسائل منع التعفن في الجراحة في أواخر القرن التاسع عشر نقص عدد المتوفين كما نقص عدد أيام قعود المصابين عن العمل . أما اليوم فالخسارة الصناعية والزراعية من اصابة العمال يسير جدًّا وهذا يعني ان مقدرتهم على الانتاج قد زادت زيادة كبيرة

وكان العمال يصابون كذلك اصابات يسيرة تقعدهم عن العمل كالاسنان التالفة من طعام محفوظ . او التسمم بذلك الطعام . فتقدم صناعة حفظ الطعام قد نقصت هذه الاصابات نقصاً كبيراً وهذا التقدم يرجع الى نواحٍ من تقدم العلوم الطبية الاساسية كالبكتيريولوجيا والكيمياء ورجوعه الى تقدم الاساليب الصناعية . وكذلك اصابة الاسنان والنوازين كانت تفضي قبل نصف

قرن من الزمان الى ضعف الشفاء فتقدم طب الاسنان وجراحتها وجراحة الفكين قد خفض ذلك خفضاً كبيراً ولا يزال مجال التقدم واسعاً ولكنه على الغالب محصور في اقناع الناس بزيارة أطباء الأسنان وأطباء الحنجرة لمنع آفة او لاستئصال آفة

تأثير الارتقاء الطبي في الزراعة

وقد كان للارتقاء الطبي تأثير كبير في تقدم الزراعة . والغالب ان مرد التوسع في صناعة الألبان اليه ، وقلما يعلم الناس ان الاعتماد على اللبن في انشاء هذا الاعتماد الواسع لم يتم إلاّ في خلال القرن المنصرم ، ولو كان الناس يعتمدون عليه قبل بمقدار مدى اعتمادهم عليه الآن لتفشت أمراض كثيرة تتأكد لأن اللبن من أشد مواد الغذاء خطراً اذا لم يكن معقماً فتلوثه بالجراثيم سهل السهولة كلها . وهو يفوق جميع مواد الغذاء الأخرى في عواقب تلوثه . لأنه اذا دخلت الجراثيم المرضية اللبن ووجدت فيه مرتعاً خصباً لنموها ، فتتكاثر بسرعة عجيبة لأن الحرارة مؤاتية والغذاء وفير . ثم تدخل في طعام أقل الناس قدرة على مقاومة الأمراض وهم الأطفال والمرضى على الغالب . ولكن اللبن تحوّل بفضل ارتقاء العلوم الطبية من طعام خطر الى طعام مفيد قد لا نستغني عنه . وعلى هذا الارتقاء نشأت صناعات الألبان الواسعة في شتى البلدان

واذا كان منتجو الألبان قد جنوا فائدة كبيرة من تقدم علوم الطب ، فالفلاحون منتجو الحنطة والبطاطس لم يجنوا مثلها . فقد نقص ما يستهلك منهما في بعض البلدان لاعتقاد الناس ان التغذي بهما يميل الى السمنة . ولما كانت الفساد شديدات العناية بالقوام المعتدل فقد انصرفن إلاّ قليلاً عن كثرة التغذي بخبز الحنطة والبطاطس . وما يعانيه فلاح أميركا من نقص ما يستهلك من منتجاته ليس سببهُ ضيق الاسواق الخارجية ومنافسة المنتجين الآخرين فحسب ، بل نقص المستهلك من حنطته وبطاطسه في بلاده . وقد بلغ من مدى هذا النقص في أميركا ان اشتركت شركات الخبز في شن حملة من الاعلان لاقناع الناس بزيادة ما يستهلكونهُ منهما

وما خسرهُ منتجو الحبوب ربحهُ منتجو الفواكه . وقديماً كان العرب يصيبون قوتهم عند قوم فوائد . فالارشاد الذي بذلهُ رجال الطب للناس من حيث الغذاء وعناصره كان له تأثير في تحويل الانتاج الزراعي فنقص في ناحية وزاد في أخرى ، ومن النواحي التي زاد فيها الاستهلاك وتبعهُ بحكم الطبع زيادة الانتاج زراعة الفواكه

مرى الحياة ومتكلم الشرق

ولعل الناحية التي تفوق غيرها من نواحي الارتقاء الطبي هي ناحية حاسة وفيات الاطفال

فمعدل الوفيات بين الأطفال لا يزيد الآن على ربع ما كان عليه قبل قرن من الزمان [1] وقد نقص معدل الولادات ولكنهُ لم يجار الزيادة الناشئة عن قلة الوفيات . والغالب أن الزيادة الكبيرة في عدد سكان الأرض راجع الى هذا العامل أكثر من رجوعه إلى أي عامل آخر . وهذا يعني أن إحتمال مدى الحياة عند الولادة قد زادت زيادة كبيرة . وإذا كان هذا الاحتمال قبل خمسين سنة من الزمان ثلاثين سنة فقد زاد إلى الخمسين واثنتين الآن . ونشأ عن هذا أن زاد عدد المتقدمين في السن فأفضت زيادتهم إلى مشكلة إجتماعية كبيرة هي مشكلة المعاش اللازم للشيوخ . فكأن التقدم الطبي في خفض معدل وفيات الأطفال أفضى إلى نشوء مشكلة إجتماعية وإقتصادية معاً هي مشكلة العناية بالشيوخ . لأنهُ بتأخير سن الوفاة زاد عدد الذين لا يستطيعون — لتقدمهم في السن — أن يجاروا الشباب والكهول في قدرتهم على الانتاج

فلما وجدت هذه الطبقة من الناس انها عاجزة عن منافسة الشبان والشابات في ميدان العمل بوجه عام أخذت تطالب بوجوب اعتمادها في معيشتها على الدولة وهو طلب معقول ولكن حملهُ على الوجه الأوفق بغير أن يؤثر الحل في الحالة الاقتصادية العامة لا يزال متعذراً

وهذه المشكلة من أعقد المشكلات التي تواجهها في هذا العصر . فقد كانت الأوبئة والأمراض وجهل القواعد الصحية ومصائب الحرب تحل المشكلة قبل قيامها ، أي أنها كانت تمنع طول الحياة على العموم . ثم إنها ما زالت تعاني شرور الحرب وتلك الأسلحة الحديثة ولكن عدد الذين يقتلون في الحروب الآن أقل من الذين كانوا يقتلون بها قبلاً وذلك لأن الارتقاء الطبي يحول الآن دون الوفيات الكثيرة الناشئة عن تفشي الأوبئة أو تقيح الجروح . والمجاعات أقل بوجه عام مما كانت واذا تفشت مجاعة فالغالب أن هيئات الغوث الدولية تبادر الى المساعدة . ويستثنى بحكم الطبع ما ينتظر من حدوث مجاعة في أوربا في الشتاء القادم لاستئثار الالمانيين بموارد الطعام المختلفة في شتى البلدان التي احتلوها

وليس ثمة باعث ما يبعث على الاعتقاد بان التقدم الطبي بلغ حدهُ . بل على الضد من ذلك هناك بواعث كثيرة تحمل على اليقين بان الطب ماض في ارتقائهِ وان معدل الحياة سيطول وعدد الشيوخ الذي يشارف في طبقة الذين يتجاوز عمرهم من ستين الى ثمانين سيزداد . فاذا أخذت الدول تبدأ توفير معيشتهم من موارد الدولة وجب على اقطاب الاقتصاد والاجتماع أن يوجهوا عناية خاصة الى هذا الموضوع قبل ان تتفاقم المشكلة

---

[1] الوفيات في [illegible] لا تعتمد على الاحتياط الكبير . راجع مقالة [illegible] الصحي في مقتطف [illegible] و [illegible] سنة ١٩١٠ [illegible] الوكيل بك

تكريم النوابغ العاملين

علي ابراهيم باشا

للاستاذ اميده السيفي

— ١ —

علي ابراهيم — لحضرة صاحب المعالي

والجيل الجديد — يعني الذين بركات باشا

حضرات السادة المحترمين : من أروح الأشياء الى نفسي ان يكون من نصيبي القاء كلمة عن أخي وصديقي حضرة صاحب المعالي الدكتور علي ابراهيم باشا . فلقد جمعتني به صلة الموطن الأصغر أعني تلك القرية الصغيرة منية الارشد حيث ولدت وحيث ولد أبي وجدي وحيث ولد المرحوم ابراهيم افندي عطا والد الدكتور علي ابراهيم . ولقد كان من حظي أن أتعرف بهذا الوالد وان أرى ما كان عليه من شهامة وعلو نفس وبنية قوية جملته يظهر في عنفوان القوة مع أنه كان قد جاوز الثمانين أو جاوزها . ولست أشك ان ولده الصبي علي ابراهيم ورث عن هذا الأب الحر الأبي والاقدام ، فكان ذلك الصبي منذ ان بدأ دراسته الابتدائية في سنة ١٨٨٨ الى ان حاز شهادة البكالوريا سنة ١٨٩٧ فدبلوم الطب سنة ١٩٠١ مثال الشاب النابه الناجح . فكان دائماً الأول بين أقرانه كما كان الأول في الشهادة الابتدائية والأول في الشهادة الثانوية بأجمعها ، والأول في الدبلوم . ثم صار يتدرج في مناصب الدولة حتى وصل الى أرقاها وينال من الدرجات السنية والباشويات المصرية والأجنبية ما جعله في الصف الأول منها جميعاً مما يملأ ثلاث صفحات كاملة سنطلعون عليها بأجمعها

وحسبي أيها السادة اذا قصرت كلامي على تلك الصفحة وحدها أكون قد ظلمت التاريخ وظلمت صديقي المحتفل به وظلمت نفسي . فهذه الصفحة وان كانت صفحة فخار إلا ان لها نظائر في كثيرين . انما الناحية التي يتسع مورد ويتلألأ ضياؤها في علي ابراهيم فهي عبقريته النادرة في فن الطب وجهه الله حبًّا بلغ منه محل السيادة والتقديس . ولا يحسبن أحد من حضرات الصديقات الأصدقاء أني سأجنف على حقهم في هذا . فلن أتعدى بعض كلمات من الوجهة العامة

عرفت علي ابراهيم عقب أن غادر أسيوط وجاء الى القاهرة مساعداً لاستاذ الجراحة في قصر العيني بعد أن كان له اسم عريض ملأ كل نواحي الوجه القبلي حتى لمت بعلي ابراهيم الأسيوطي

جاء الى مصر ووراءه جميع أهل الصعيد لا يثقون الا به ولا يطمئنون الا لمشورته. وكانت البلاد في هذا الحين قد انطبع في نفسها اليأس . فقدت الثقة بالمصريين لأنهم مصريون . وكانت الأسر الغنية وصاحبة الجاه لا تعتمد الا على الاجانب وحدهم. ولكن عبقرية علي ابراهيم سمحت له بالاستثناء . فهل اطمأنت تلك النفس الكبيرة الى تلك اخاء أو رضيت بهذا النصيب أو ارتاحت الى أن يكون صاحبها وحده هو المستأثر بهذا الامتياز ؟ كلاَّ . فان علي ابراهيم لم يهدأ بالاً ولم يطمئن نفساً حتى شقَّ الطريق بجميع من توسم فيهم الخير من زملائه واصدقائه. وما زال يجاهد ويناضل حتى وضع المصري في صف الأجنبي ثم خطا به الى الأمام فخلق روح الثقة بيننا وعمل على ان يصل الطبيب المصري بجده وعمله وجه لفه كما تصل الأمم الراقية والشعوب التي وصلت الى أعلى درجات الفن . حتى رأينا في البلاد انقساماً وتخاذلاً في جميع الصفوف ولكن علي ابراهيم — مع ما كان له من رأي معروف في السياسة — واصدقاء علي ابراهيم ظلوا وحدهم موضع الثقة من اصدقائهم وخصومهم على السواء . وكانت الثقة تذهب الى حد أن علي ابراهيم كان موضع سر الخصمين المتنافسين والمدوين اللدودين في وقت واحد

ذلك درس في تقديس الواجب أرجو ان يتعلمه غير الأطباء على استاذ الطب الاكبر وان يتدبروه . انهم ان فعلوا ذلك خدموا انفسهم وبلادهم أصدق خدمة

أذكر ناحية اخرى . . . . . كنا جماعة من شباب العصر نجتمع مع علي ابراهيم وكان الكثير منا يعنى بلباسه وبما يجلبهُ من باريس ولندن . اما علي ابراهيم فكان يجلس معنا مفاخراً مباهياً طوراً بلهجة الجد واخرى بلهجة الدعابة الظريفة بما يشتري من مصنوعات شرقية وما يلبس من لباس مصري . فأقمصته من حرير دمياط وبدلته من أحد عبد الرحمن وخفه من قطع السجاد الشرقي النادرة . ولغتهُ هي لغة الأدب العربي حتى أن الكثيرين ممن أسوأ مجلسه كان يعجبون بلغة هذا العبقري ويدهشون لما يجدونهُ عنده من الاطلاع في الآداب العربية . كل ذلك مع عذوبة في اللفظ ورقة في الاخلاق حتى أنك عند ما تستشيره في مسألة من أعوص المسائل الطبية تجده ينبئك عنها بلغة سهلة وأسلوب واضح ويضع أمامك الجسم الانساني فترى أدق أجزائه كيف يعمل وتعقد وظائفه كيف يقوم بها من غير عناء ولا إجهاد

أيها السادة : — هذه بعض نواحي عبقرية علي ابراهيم أرجو أن أكون كشفت بها للعمل الجديد . فهو وان شاهد آثارها لا يعرف كيف نشأت . وإني إذ أغادر منبر الخطابة

أرجو أن يدرس نباتة تلك الشخصية الفذة إذن خطو بلادهم وخدموا أنفسهم أحسن الخدمات كما أرجو أن يمد الله في عمر ابنتنا وأن يجعلها على الدوام مثلاً يقتدى وسراً يهتدى وضوءاً يسطع في الظلمات

— ٢ —

علي ابراهيم — حضرة صاحب السعادة

وكيل الطب — الدكتور نجيب محفوظ باشا

سيدي وسادتي : في اليوم الثلاثين من شهر ابريل سنة ١٩٢٩ عقد مجلس كلية الطب جلسة خاصة لانتخاب عميد للكلية بحضور المستر مادن . وكانت تقاليد المدرسة الى ذلك الحين تقتضي ان يكون العميد انكليزياً ولكن على الرغم من ان المجلس كان مصمماً تقريباً من الانكليز قرر باجماع الآراء انتخاب علي بك ابراهيم عميداً للكلية ووافق على نص القرار الآتي الذي قدمه أحد أعضاء المجلس وهو : « تقديراً لما أظهره علي بك ابراهيم من المقدرة الخارقة للعادة في ادارة الكلية وتنظيمها في المدة التي كان شاغلاً فيها وظيفة وكيل للعميد واعترافاً بالجهود العظيمة التي بذلها في إعادة تنظيم الكلية وفي نجاحها المطرد في العشرين عاماً الماضية رأى المجلس ان مصلحة الكلية والتعليم الطبي في مصر يقضيان بأن ينتخب عميداً للكلية »

ومنذ ذلك التاريخ أخذ علي باشا على عاتقه ذلك العبء الثقيل فنهض بالمدرسة والمستشفيات ذلك النهوض المدهش الذي كان موضع اعجاب القريب والبعيد . وما كان من المستحيل عليَّ في الدقائق القليلة المخصصة لي ان أفي عهد علي بك في القيادة حقه من البيان فسأكتفي بسرد بعض الحقائق عن فقط ثلاث لا أرى محيصاً من الكلام عنها . وهذه النقط هي : « المباني » « وتحسين هيئة التدريس » « وشخصية علي باشا كعميد »

أما عن المباني فاذا شئنا ان ندرك شيئاً من مدى الاصلاح والتحسين الذين تمَّا في عهده فجدير بنا ان نرجع الى الوراء اثنتي عشرة سنة ونقارن بين ما كانت حالة المدرسة والمستشفى في ذلك الحين وما آلت اليه اليوم

كانت الكلية عندما تولى علي باشا ادارتها قد أصابت شوطاً بعيداً في ترقي العلمي والفني حتى نالت من الشهرة العلمية قدراً كبيراً . ولكن من حيث المباني لم تكن في الفضاء اللائق بها المعدن لقدمها التعليمي والعلمي فكانت العيادة الخارجية مؤلفة من بضع غرف مقامة فوق سرداب مظلم ورطب فيه بعض مقاعد للمرضى . وكان هؤلاء المرضى في هذا السرداب المظلم يجعل مرور الأطباء الى أقسامهم المختلفة مهمة يعانون فيها الأمرين حساب كل صباح . حتى اذا

وصلو الى أقسامهم علقوا ملابسهم الخارجية على مسامير مدقوقة في الحائط بحيث تصبح مرتعاً لما يصل اليها من ملابس المرضى من صنوف الحشرات وكانت هذه الحال سبباً في اصابة عدد لا يستهان به من أطباء المستشفى بالتيفوس وغيره من الامراض

اما عنابر المستشفى فكانت تكتظ بالمرضى الذين كانوا يكدسون فيها تكديساً تكاد عواقبهُ تكون شديدة المرارة لولا ما اظهرت طائفة الممرضات من مصريات وانكليزيات من التفاني في المحافظة على المستوى الصحي

اما دار المدرسة فلم تكن احسن حالاً . فكانت معاملها ومتاحفها وحجر التدريس فيها قليلة العدد والاتساع على الاساتذة والطلبة فضلاً عن ان استعدادها للتدريس والتمرين لم يكن كافياً لحاجة الطلاب. اما اليوم فقد تبدلت الحال وبلغت المدرسة والمستشفيات شأواً يضاهي خير ما يشاهد في ارقى الممالك الاوربية . فقد اصبح في الكلية من المعامل النظيفة وأبهاء التدريس الرحبة ما يفخر به حقاً ناهيك عن المتاحف المتعددة البالغة حد الاتقان والتي لو جمعت في مكان واحد لألفت مجموعة من أكبر وأهم مجموعات المتاحف في العالم أجمع .وفي استطاعتي ان أؤكد لحضراتكم أنهُ لولا النفوذ الشخصي الذي كان يتمتع به علي باشا لدى الحكومات المتعاقبة على اختلاف أنواعها السياسية لما تمد شيء من هذه الاصلاحات ولما تم بناء ذلك المستشفى الفخم مستشفى فؤاد الاول الذي يعد بحق في طليعة مستشفيات العالم

أما عن تحسير هيئة التدريس بكلية الطب فلا أغالي مبالغاً اذا قلت ان ما اظهره علي باشا من بعد النظر وحصافة الرأي في اعداد المصريين لتولي شئونهم بأنفسهم جدير بكل اعجاب. فقد تولى ادارة الكلية وليس بين اساتذتها الا ثلاثة مصريين تم تركها وليس بين اساتذتها من الأجانب الا اربعة .وقد تم كل هذا من غير اخلال بمستوى التعليم او بكفاءة المدرسين. فقد كان سبيله الى هذا مطروقاً يتهي الحكمة وبعد النظر فقد تولاه العمادة ارسل من البعثات في كل فروع الطب ضعفي العدد اللازم لمقتضيات التدريس في ذلك الحين . فلما عاد طلبة البعثات الناجحون ألحقهم بمناصب التدريس الصغيرة يشرفون فيها تحت ارشاد الاساتذة حتى اذا سنحت الفرصة رقي منهم من ثبتت كفاءتهُ رقيًّا تدريجيًّا بلا طفرة ولا تعجل وكان من مجالس التوفيق ان نضوجهم وقت اكتمال مباني مستشفى فؤاد الأول . فلما ضوعف عدد الأقسام وزيد عدد الطلبة الى ضعفيه وجد من الأساتذة المصريين ومن المساعدين الاكفاء من سدوا الفراغ من غير احتياج الى الاستعانة بعناصر اجنبية . وكان علي باشا يجيل للبحوث العلمية المقام الأول فيحرّض هيئة التدريس على القيام بها ويعضد الناجحين منهم ولا شك في انهُ كان خير قدوة لهم بما كان يقوم هو نفسه به من البحوث النفيسة . وكان لعلي باشا مثل ما لغيره من العادة الاعتداد فقد

ثاقب ورأي خاص في تقدير الكفاءات التي يمتاز بها العاملون تحت ادارته ولم يكن يدخر وسعاً في تهيئة السبيل امام من كان يوليهم ثقته حتى يتاح لهم ان يصلوا بحسن رعايته الى المركز الذي يستطيعون فيه ان يخدموا العلم والتعليم بما يتوسمه فيهم من الكفاءة والأهلية

ومن أجل الخدمات التي أداها علي باشا للعلم في مصر والشرق أجمع تسهيله وسائل الدراسات الطب في كل فرع من فروع الطب وقد لاءم هذه الدراسات في أول عهدها شيء غير قليل من الارتباك يرجع السبب فيه الى الصعوبات التي وجدت في الحاق الأطباء من موظفي الحكومة بها على انه منذ تولى علي باشا وزارة الصحة أخذت هذه الدراسات حياة جديدة تبشر بمستقبل حسن ان شاء الله

سيداتي وسادتي : كان عصر علي باشا بلا نزاع عصر الكلية الذهبي وليس غلواً ان أقول ان علي باشا هو مؤسس المدرسة الحديثة وانه استطاع أن يحرك القوة الكامنة في هيئة التدريس بها وان يجسمها في نهضة مباركة سارت بالمدرسة الى الأمام سيراً حثيثاً . ومما ساعد علي باشا على بلوغ هذا النجاح تلك الثورة الفكرية التي صاحبت الانقلاب السياسي منذ سنة ١٩١٩ والنهضة القومية التي تفتحت في نفوس المصريين مما هيأ لآرائه ومشروعاته بيئة خصبة نأتيت ناتاً حسناً

وقد نجحت مقدرة علي باشا بصفة خاصة في ادارته لمجلس الكلية بما اظهره من حصافة الرأي وبعد النظر في الأمور ولمقدرة الفائقة في التوفيق بين عناصر المجلس المتباينة . وقد جعل من المجلس اداة هيئة التدريس من الأعضاء فقد كان يأنس بآرائهم ومناقشاتهم . ولم يكن يقرر خطة في الأمور الهامة الا بعد تفكير عميق . فاذا لم تصادف آراؤه موافقة المجلس فلا يفارقه حلمه مهما تشتد الحملة على رأيه . ولكنه وهو السياسي الخالق كان يعمد الى الأساليب الدبلوماسية التي له فيها القدح المعلى فيفتح طريقاً وسطاً بينه وبين معارضيه ، ثم يهاجم بعد ذلك نقط الضعف في آرائهم بقوة حجته وسرعة بديهته وكثيراً ما كانت دعابة من دعاباته الفريدة ونكتة من نكاته الحاضرة سبباً في تصفية جو مشحون بالحدة فتتحول المناقشات الحادة الى حوار هادىء منتج يظفر منه في كثير من الأحوال بكل ما يريد

إن الرسالة التي أداها علي باشا لمصر في بلاغ كلية الطب الى المستوى العالي الذي وصلت اليه الجدارة حقيقاً بكل اعجاب ولا أظني أشي سراً اذا قلت أن سريرته في أدائها لم يكن دائماً سهلاً ممهداً ولا خالياً من العثرات والعقبات . وليس من أثر هذه العقبات شيء كان يوحي به من الحكومات على اختلاف ألوانها السياسية من التدخلات التي هي أشد لا تتفق ومصلحة التعليم في كثير ولا قليل ، بل كانت تخضع لعوامل خارجة عن سياسة التعليم وضارة به . هنا كانت تجلى إرادته الصلبة ، وقوته التي لا تعرف الطوارئ . كم مرة شاهدته في حالة نفسية مرة

يصادم الحوادث ويتلقى الصدمات بيأس شديد مؤثراً الاستقالة على الموافقة على أمر لا يتفق مع مصلحة العمل

سيدتي وسادتي : حقاً كانت مدرسة الطب موفقة في كثير من تولوا إدارتها أمثال كلوت وابفلي وعيسى حمدي وكيتج . وقد كتبت اسماء بعضهم في صفحات الخالدين ، ولكن اسم علي باشا سيظل بينهم كالعلم المفرد مخلداً في صفحات المجد بما ترك في الكلية من الآثار الخالدات

— ٣ —

علي ابراهيم — لحضرة صاحب العزة

وتصوره في الجراحة — الدكتور محمد عبد الحميد بك

أفأستطيع أن أصور لحضراتكم معالي الدكتور علي ابراهيم باشا جراحاً في بضع دقائق؟ ولكن هل أنتم في حاجة الى هذا التصوير . ومصر من أقصاها الى أقصاها بل مصر بالحدود التي يتناولها الحرب الوطني ظلت تجني ثمار عبقريته الجراحية الفذة . تلك العبقرية التي يخيل لي انها فطرية . فقد كانت تبدو عليه في عنفوان شبابه علامات النبوغ والذكاء ومضاء العزيمة وبعد الهمة ورباطة الجأش والنشاط الذي جعله يدرع التعب ولا يستريح الى فراغ

وجدير بي أن أقول اني لا أستطيع الا أن أرسم لحضراتكم صورة مصغرة في هذه الفترة الوجيزة . ولكم أن تعتبروها مثلاً من شتى صوره الجراحية . لقد عرفته منذ نحو سبع وثلاثين سنة يوم كنت طالباً في السنة الثالثة من مدرسة الطب وكان طبيب امتياز في مستشفى قصر العيني . وفي أول مرة رأيته سمعته يقول لأحد مرضى المستشفى «اذا نجحت عملية هذا المريض والتحم جرحه بالقصد الأول أعطيتك عشرة قروش» ولا أخفي اني استنكرت منه هذا القول بل عد السخاء . وما كان أطلقني في استنكاري لأني لم أكن أدرك ما أدركته بعد ذلك اذ أصبحت طبيباً . وهو عنايته بالتعقيم . والتعقيم من أهم الأركان التي بني عليها تقدم الجراحة في العصر الحديث . وكان وقتئذ من المستحدثات الطبية فلم يتمسك بمبادئه ويعتصم بوسائله الا القليل من الجراحين . وعلي الدكتور علي ابراهيم كان من أوائل الجراحين المصريين ان لم يكن اولهم إيماناً به واستمساكاً بمبادئه واعتصاماً بوسائله . وكذلك كان الدكتور علي ابراهيم أول جراح مصري سن سنة المستشفيات الخصوصية

ذلك انه كان من أسيوط الى مصر اتخذ له عيادة بشارع عابدين وجعل له فيها بعض الأسرة لصيانة مرضاه فيها بعد اجرائه العمليات لهم مخالفاً بذلك ما جرت به عادة الجراحين من اجرائه العمليات في عياداتهم ونقلهم مباشرة الى بيوتهم أو اجرائها لهم في بيوتهم . فكانت عيادته كأنها مكتب والمكتب كصيدلية مستشفى . وسرعان ما التمست أعماله الجراحية فيها التشيف الى مستشفاه

الذي اتخذهُ في شارع الصنادقية . وهذه السنّة التي ابتدعها واتى أخذها عنهُ غيره قد تبدو لحضراتكم صغيرة الشأن ولكنها بعبدة الأثر في النهضة الجراحية المصرية. ذلك لأنهُ هيأ فيه جهازاً للاشعة ومعملاً للأبحاث والتحاليل المختلفة يوم كانت مستشفيات الحكومة في الأقاليم تخلو منها فاذا دخل المريض مستشفاه خصهُ خصاً دقيقاً واستعان على حقيقه مرضه بالأشعة وبالأبحاث والتحاليل فكأنهُ كان لا يسأل الطبيب عن المرض الا بعد التزوي والتريث والثقة بالفور والنصر وإذا ما أعلنها تفقد سلاحهُ وقاه بتحذير المريض طبيب متوفر على التحذير وساعده جراح أو أكثر ثم قام بتمريض المريض ممرضات خبيرات . وهذه أيها السادة هي السياسة الجراحية الرشيدة لأنها جماع الوسائل أو العناصر التي تألفت منها الجراحة المصرية وهي التعليم والتحذير والبحث العلمي وحسن التمريض . وهذا هو السر في توفيقه في أعماله ونجاحه فيها نجاحاً باهراً فطار له صيت وجرى لهُ ذكر وأقبل المرضى على مستشفاه اقبالاً عظيماً يدخلون فيه حيث أمل لهم العمليات ثم يعودون الى قواعدهم آمنين سالمين

أما كفاحه في مستشفى قصر العيني وأثره في التعليم جرّاحاً مدرساً وباحثاً موفقاً وأستاذاً قديراً فشريط سيطول أطول من ان أعرض على حضراتكم الآن وحسبي ان أشير اليه . ولو كان لي من الأمر شيء لسميت شارع الصنادقية بشارع الدكتور علي ابراهيم باشا تخليداً لذكرى هذه السنّة واعترافاً بفضله على من نالوا الشفاء على يديه الرشيقتين تلك الرشاقة الضرورية في الأعمال الجراحية . فقد قال بعضهم لا بدّ للجراح من عين النسر ورشاقة الحسناء وقلب الأسد . ولكن أين حدة بصر النسر التي ينقض بها على فريسته فيفترسها من حدة بصر علي ابراهيم وحسن بصيرته في الأمراض وتشخيصها وفي العمليات واجرائها وفي العلاج ووسائله مما نفع الناس وأنقذهم من الأمراض وآلامها . وأين رشاقة الحسناء التي تهتك بالقلوب فتؤجج النار فيها وتزيدها اشتعالاً من رشاقة يديه وهو يفتك بها بالأنسجة المريضة والأعضاء المأوفة شقّاً وتشريحاً وقطعاً واستئصالاً فتدع تلك الرشاقة الأسقام من الأجسام وتكون عليها برداً وسلاماً . وأين شجاعة الأسد من شجاعته في شتى النواحي التي يطول ذكرها . وحسبي ان أذكر منها انهُ سمح لنا بالاحتفال بعيده المئوي ونحن في زمن يتنافس فيه الرجالُ الكواعبَ الأبكار في كتم الأعمار حتى لقد يحكى عن ظريف من كبار الموظفين انهُ جلس ذات يوم بين نفر من اصحابه بعد إحالته الى المعاش فقال لهم والله يا خواني لم تشق عليَّ إحالتي الى المعاش الا لأن امرأتي عرفت اني بلغت الستين . وها نحن نعيد اليوم وجيهاً ان معالي الباشا قد أوفى على الستين — ولتطولها — ولعلَّ من مزايا هذا الاعلان انهُ أصبح يتأمن من مداعبته بالكبر ، وقد أصبح كبيراً . مدَّ الله في عمره ومتعهُ بالصحة والعافية ووفقهُ ورزراءه كما وفق جراحاً وعميداً ومديراً في ظل حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم

النافورة

في عشية أحد الأيام كان المسافر راكباً جواده وسائراً الى الساحل . فوصل في طريقه الى بئر . فنزل عن جواده وربطه الى شجرة امام الباب لانه كان واثقاً بالليل وبالناس شأن اقرانه المسافرين الى السواحل . وبعد ذلك دخل الى النزل مع الداخلين

وعند انتصاف الليل كان جميع من في النزل نياماً فجاء لص وسرق جواد المسافر فلم يدرِ به أحد

وفي الصباح استيقظ المسافر من نومه وذهب على الفور الى حيث ربط جواده فلم يجده . وبعد أن فتش عنه عرف أن لصاً سرقهُ في تلك الليلة فتأثر كثيراً على فقدهِ ولكنهُ حزن بالأكثر على أن بين الناس من يغريه الشر فيعمد الى السرقة

وعندما عرف رفقاؤه المسافرون بما جرى له تجمعوا حواليه وبدأوا يهنئون عليه بالسلامة معقبين

فقال له الأول : « ما أحمقك أيها الرجل ! لماذا ربطت جوادك خارج الاصطبل ؟ »

ثم قال له الثاني : « اني استغربت كيف انك لم تحجل الجواد عند ما ربطته . فأين وفر جهلك ! »

فقال الثالث لرفيقه : « أن السفر الى البحر على ظهور الجياد عادة من أسامه »

وقال الرابع : « أما أنا فاعتقد انهُ لا يفتني الجياد الأكل بليد بطيء الخطى »

فدهش المسافر للاغتهم وفصاحتهم في الوعظ والارشاد بعد فوات الأوان ثم قال لهم وهو يتميز غيظاً : « أيها الأصحاب عند ما سرق جوادي جاءتكم الفصاحة عفواً فسرعتم الواحد تلو الآخر تمدّدون هفواتي وزلاتي ولكن بدهشتي انكم مع ما أوتيتم من قوة البيان لم يقل أحد منكم كلمة في من سرق الجواد ! »

الاحتفال عيد الدكتور علي ابراهيم بك

نهضة علاج

امراض العيون بمصر في ربع قرن[1]

للدكتور عيسى حمدي الملازني بك
مدير مستشفيات الرمد بوزارة الصحة العمومية

(مقدمة) دلت الأوراق البردية التي كشفها العلامة إبرس Ebers والتي كتبت في عهد الأسرة الثامنة عشر — أي منذ ٣٤٠٠ سنة — على ان الرمد الحبيبي والصديدي كانا منتشرين بمصر في ذلك الحين. والواقع ان هذين المرضين، كانا معروفين فيها قبل هذا التاريخ بكثير

وتدل وصفات العلاج التي عثر عليها — وتبلغ حوالي ٧٠٠ — على ان أمراضاً أخرى كانت شائعة في البلاد، أهمها: الافرازات الصديدية من العين، والقامات، والشعر

ولم يقف أجدادنا مكتوفي الأيدي أمام هذه الأمراض، فجموت الشعرة التي وجدت في مقابر الدولة الحديثة، والأواني المحتوية على أكسيد الزنك وإكسيد النحاس وسلفات الرصاص والتوتيا وأصناف الكحل، وغير ذلك مما عثر عليه في هذه المقابر، تدل على تقدمهم في علاج هذه الأمراض

غير أنه يجب ان نقرر أن المعالجة في تلك الأزمنة — بمرفة أطباء مهرة — كانت في حدود ضيقة، إذ كانت مقتصرة على الخاصة من المصريين وكان هؤلاء الأطباء المهرة قليلين. لما عرف عنهم من عدم إذاعة أسرار صناعتهم وجعلها وقفاً على ذويهم من بعدهم

فمقاومة أمراض العيون في مصر وكافحتها بالمعنى المقصود، لم تكن معروفة في ذلك التاريخ وما تلاه من العصور المختلفة إلى أوائل القرن العشرين

فمصر، منذ نشأتها إلى أوائل هذا القرن، كانت رتعاً خصيباً لأمراض العيون وعلى الأخص الرمد الحبيبي والرمد الصديدي، وقد كانت أحوال البلاد وظروفها — لسوء الحظ — مساعدة على تفشي هذه الأمراض بوبائية تقشياً مريعاً. فحرارة الجو، ووفرة الاهالي، والأمية المتفشية بينهم، وما يتبعها من الجهل بوسائل الوقاية، وعدم مراعاة النظافة، وسوء التعدية — هذه جميعاً، كانت أسباباً قوية لانتشار هذه الأمراض. يضاف إليها سبب آخر، هو جمود حكومات تلك

(١) نشرت هذه رسائل أخرى طبية في العدد التذكاري الذي نشر من قبل الجمعية المصرية

الأزمنة فلا مجانس محلية ، ولا تنظيم ولا خلافات بين بالنظافة او يساعد على المحافظة على الصحة بوجه عام

هذه العوامل مجتمعة ، والبلاد محرومة من وسائل التداوي والعلاج بطريقة عملية او فنية ، جعلت الناس يلجأون في معالجة عيونهم الى الوصفات المتداولة والعقاقير والأحجبة وما الى ذلك مما كان شائعاً . شأنهم في ذلك شأنهم في علاج الامراض الاخرى . مما كان يجلب لهم الضرر من حيث أريد النفع . ولو أحصينا التاريخ بسجل واحد ، لرجع اليه لمعرفة عدد حالات العمى ونسبتها الى عدد السكان في أي عصر من تلك العصور ، لوجدنا منه العجب . ونكرر المؤكد والمعروف ان هذا العدد كان كبيراً جداً كما ان الرمد الحبيبي كانت نسبة اصاباته مائة في المائة تقريباً

(ابتداء مكافحة الأرمد بطرق فنية حديثة) ولما شرعت بلاد تنفض عن نفسها عار عشرين قرناً خلت ، وبدأت نهضتها بعد هذا السبات العميق تأخذ مكانها في الوجود ، كان طبيعياً ان تتجه الأفكار الى كثرة أمراض العيون التي توطنت بالقطر المصري ، وما تسببه من اتلاف البصر ، والى ضرورة تنظيم حملة لمكافحة هذه الأمراض ، وبذل الهمة لمنع العمى واجتناب الخسارة المادية التي تصيب القطر من جراء إصابة الكثيرين من الأهالي بهذه العاهة التي تمنعهم عن العمل ، وتحول دونهم وأبواب الرزق ، وأغلبهم من طبقة الفلاحين وهم السواد الأعظم من السكان

وقد كانت الخطوة العملية الأولى في هذا السبيل في سنة ١٩٠٢ عندما انعقد المؤتمر الطبي الدولي بالقاهرة في ذلك العام . فقد اجتمع القسم الرمدي من ذلك المؤتمر وحضره أطباء العيون الذين كانوا بمصر إذ ذاك — وطنيون وأجانب — وتناولت أبحاثهم موضوع مكافحة أمراض العيون بالقطر المصري . وكان من نتيجة هذا الاجتماع ، أن أنشئت الجمعية الرمدية المصرية من أعضاء لا يزيدون على عدد أصابع اليد . وبدأت هذه الجمعية تعمل من ذلك الحين ، ونشاطها في اطراد وأعمالها في نمو وأعضاؤها في ازدياد حتى بلغوا ٦٧ عضواً في سنة ١٩١٥ ، و٢١٣ في سنة ١٩٤٠

(أركان العلاج الرمدي بمصر) يقوم أساس العلاج الرمدي بمصر على خمسة أركان وهي :

(١) — المستشفيات الرمدية (٢) — العيادات الرمدية بالمدارس والمكاتب (٣) — نشر الدعوة الصحية (٤) — الابحاث الخاصة بأمراض العيون (٥) — تعليم فن الرمد للاطباء

(المستشفيات الرمدية) كان من حسن الحظ ان تبرع المرحوم السير ارنست كاسل في يناير سنة ١٩٠٣ بمبلغ خمسة آلاف جنيه ، ينفق ريعه في تدريب الأطباء المصريين على معالجة امراض العيون ، وتعميم تدريبهم تدريباً كافياً بالمستشفيات الرمدية . وقد أنشيء من هذا الريع مستشفى متنقل يجوب في الاقاليم ، افتتح في ١٠ يناير سنة ١٩٠٤ ؛ وفي اوائل سنة ١٩٠٥ أنشيء مستشفى متنقل آخر . وبهذا وضع الأساس العملي للنهضة العلاجية التي نحن بصددها ، وهي التي فوضت أركان العدوى المصرية أطبائها في ربوع هذه البلاد أكثر من عشرين قرناً

وكانت المستشفيات المتنقلة الأداة الاولى لمكافحة الارمد بالقطر المصري ، عند ما بدىء بمكافحته مكافحة منظمة في سنة ١٩٠٤ ، إذ استقر الرأي وقتئذ على إنشاء مستشفى متنقل للقيام بهذا العمل ، على مثال ما كان موجوداً حينئذ في روسيا حيث أسس الاستاذ بل زار نوف هناك مستشفى متنقلاً أنحاء المستشفى الطبار لمقاومة الأرمد

وأهم مزية تتصف بها هذه المستشفيات ، هي أنها تتولى المعالجة الرمدية في اي مكان ، وتنقل الاسعاف والعلاج الى الأهالي في أي جهة . وفي سنة ١٩٠٦ ، أضيف مشروع معالجة أمراض العيون الى مصلحة (وزارة) الصحة ، وأضيفت هبة المرحوم السير ارنست كاسل الى ميزانية الوزارة

ولما لمست البلاد الفوائد الجليلة من هذا المشروع الجديد واستشعرت آثاره في مكافحة أمراض العيون ، سارت في تعميمه بخطى واسعة . فلم يحل عام ١٩١٥ حتى بلغ عدد مستشفيات الرمد ١٦ وفي عام ١٩٤٠ (حيث يحتفل بالسيد الستيني لحضرة صاحب المعالي الدكتور علي باشا ابراهيم وزير الصحة) بلغ عددها ٨٧ ، ساهم في انشاء بعضها كرام الأهالي ومجالس المديريات والمجالس البلدية والمحلية . وكان لهذه المعاونة ، أثر عظيم في سرعة تعميم هذه المستشفيات ، وتجهيزها بأحدث الآلات والأجهزة الرمدية ، وتزويدها بأقسام داخلية بها ٣٥٦٣ سريراً

وقد أصبح الآن بكل مديرية مستشفى رمدي متنقل خاص بها ، يزور أنحاءها المختلفة ويمكث بكل جهة منها مدة كافية من الزمن لعلاج مرضاها ، ثم ينتقل منها الى جهة اخرى وهكذا

كما انه يوجد الآن في جميع المحافظات وعواصم المديريات وأغلب المراكز وبعض القرى ، مستشفى أو فرع رمدي ثابت . والهمة مبذولة لتعميم هذه المستشفيات والفروع في بقية الجهات الاخرى

وبالمقابلة بين الأعمال الاكلينيكية التي تمت بمستشفيات الرمد في سنة ١٩١٥ وسنة ١٩٣٩ ، يتبين مقدار المجهود العظيم الذي ما فتىء يبذل لتوفير سبل العلاج في جميع أنحاء القطر

	١٩١٥	١٩٣٩
عدد المستشفيات	١	٨٦
مرضى عولجوا بالأقسام الداخلية	٢٢٧٤	٤٠٠٢٩
مرضى عولجوا بالأقسام الخارجية	٥٢٧٥٢	١٥٢٠٨٨٣
زيارات المرضى بالعيادات الخارجية	٧٣٥٩١٩	٩٥٧٤٣١٣
عمليات أجريت	٤٢١٤٦	٣٩٠٤٣٩
عمليات ثمرة	١٩١٤٩	١٠٤٩٤٨

هذا بخلاف بعض المستشفيات الأخرى غير التابعة لوزارة الصحة . وأهمها قسم الرمد

مستشفى قصر العيني، ومستشفى الملاوين التابع لوزارة الأوقاف ومستشفى فؤاد الأول التابع لبلدية الاسكندرية، وقسم الرمد بمستشفى المواساة، وجميعها تساهم بنصيب كبير في مكافحة أمراض العيون

ولم يكن الاهتمام بمكافحة أمراض العيون مقتصراً على صحة أهل المدن والقرى التي بها مستشفيات رمدية، بل شمل أيضاً محافظات الحدود، حيث يندب طبيب من وقت لآخر أطباء من قسم الرمد لفحص أهاليها وعلاجهم وعمل عملياتهم. وفي سنة ١٩٣٨ زار مستشفى رمدي متنقل انواحة الخارجة وانواحة الداخلة، ومكث بكل منهما أربعة شهور. وظل أطباء قسم الرمد يزورون معاهد أخرى في مواعيد متفقة. كمستشفى الأمراض العقلية بالعباسية والخانكة؛ ومستعمرة الجذام بأبي زعبل، ومستشفى الحميات بالعباسية، وملجأ الأطفان بالقاهرة. وذلك لفحص أمراض العيون بهذه المعاهد وعلاجهم، لتعذر إمكان إرسالهم الى مستشفيات الرمد

(العلاج بالمدارس والكتاتيب) وكل الشيء مستشفى رمدي ثابت أو متنقل بجهة ما، يقوم قسم الرمد بعلاج تلاميذ المدارس والكتاتيب في هذه الجهة. وهذا العلاج على نوعين:

(اولاً) علاج تلاميذ مدارس ابتدائية أميرية، الشيء في كل منها عيادة رمدية مجهزة بجميع الآلات والأدوية التي يحتاج اليها العلاج. فتوجه الطبيب الرمدي وساعد له لمباشرة هذا العلاج بنفسه بالمدرسة. ويبدأ العلاج عادةً من أوائل نوفمبر، وينتهي في أواخر مارس من كل عام، حيث يعمل كل ما يحتاج اليه التلاميذ من عمليات صغرى وكبرى ونظارات

وقد بلغ عدد هذه العيادات في الوقت الحاضر ٤١ عيادة منها ١٧ بالقاهرة و٤ بالاسكندرية والباقي بالأقاليم. والجدول الآتي يبين عدد التلاميذ الذين فحصوا عند بدء الفصل العلاجي في أوائل نوفمبر سنة ١٩٣٩، وعدد من وجد عندهم رمد حبيبي شديد، ومن وجد عندهم رمد حبيبي خفيف. كما يبين هذه الحالات بعد العلاج، أي في أواخر مارس سنة ١٩٤٠. ومنه يتضح أن حالات الرمد الحبيبي الشديدة قد قلت كثيراً عنها في أول السنة:

	عدد التلاميذ الذين فحصوا	سليم	رمد حبيبي شديد درجة ١ و ٢		رمد حبيبي درجة ٣ و ٤	
			عدد	النسبة المئوية	عدد	النسبة المئوية
قبل العلاج	٢٠٨	٨٥	٤٦١١	٣٦ ٪	٨٣٠٤	٦٣ ٪
بعد العلاج	١٢٩٥٣	٧٩	١٧٠٠	١٣ ٪	١٠٨٧٤	٨٦ ٪

ثانياً، في المدارس الابتدائية، التي ليس بها عيادات رمدية، يزورها في نوفمبر من كل عام أطباء مستشفيات رمدية في الجهات التي بها هذه المدارس ويفحصون جميع التلاميذ، ويحضرون بالاتفاق مع المدرسة المنظم الذي يتولى إجراء العلاج اللازم بالتلاميذ والملاحظة الرمدية

بالمدارس الابتدائية الاميرية، يقوم بها أطباء قسم الرمد بوزارة الصحة بناء على موافقة وزارة المعارف

والاسباب التي تدعو الى ضرورة علاج التلاميذ بمعرفة اطباء قسم الرمد ، هي : ١ — أن تشخيص الرمد الحبيبي والتهديدي وغيرها من امراض العيون ، لا يسهل على الطبيب العادي إجراؤه . ومن الواجب ان يعهد بعلاجه إلى طبيب اخصائي . ٢ — ان الخبرة بإبصار التلاميذ بدقة ، ووصف النظارات اللازمة لهم ، لا يحذقه سوى طبيب اخصائي ٣ — علاوة على صعوبة المحافظة على نظارات التلاميذ ، لانها كثيراً ما تتكسر بسبب اهمالهم . ثم إن جعلها مطابقة للتغير المستمر في الاستجماتزم الناتج عن التغير في تقوس القرنية الناشيء عن الرمد الحبيبي ، من الأمور الصعبة . إذ انهُ متى وصفت نظارات اسطوانية لتحسين مثل هذه الحالة ، فكثيراً ما يستدعي الأمر تغييرها بعد عدة شهور

(نشر الدعوة الصحية) إن وجود المستشفيات الرمدية بنوعيها — وخصوصاً المتنقل منها — هو خير واسطة لبث الدعوة بين سكان القطر ، وحثهم على الاهتمام بمعالجة أمراض العيون الكثيرة الانتشار بينهم ، وتحذيرهم من أضرارها ووبلاتها ، وإرشادهم الى المحافظة على سلامة عيونهم . ففي هذه المستشفيات ، تلقى محاضرات على المرضى للمحافظة على سلامة العيون وتوزع إعلانات حاوية للارشادات اللازمة عن كيفية اتقاء العدوى ، وتلقى محاضرات بالقة العامية على جماهير النساء المترددات على العيادة الخارجية تتناول كيفية تنظيف أطفالهن والعناية بعيونهم كما تلقى التصائح المناسبة على المرضى يومياً

(الابحاث الخاصة بأمراض العيون : وعلى الأخص اكتشاف جرثومة الرمد الحبيبي)

في سنة ١٩٢٣ ، تبرعت لجنة المدافن البريطانية بمبلغ ٦٦٠٠ جنيه ، لبناء معمل ومدرسة على أرض من املاك الحكومة الملاصقة لمستشفى الرمد بالجيزة ، تخليداً لذكرى من قتلوا من المصريين في الحرب العظمى من فرقتي الميال و الحالة . ومنحت الحكومة المصرية اعتماداً تدعيماً للفاجعة لتأثيثه . وقد تمَّ بناؤه وتأسيسهُ في ٢٦ يناير سنة ١٩٢٥ . ولما كان معظم المال الذي ينفق على هذا المعمل من موارد انجليزية وهي تشمل ربع مبلغ الـ ٤٠٠٠ جنيه الذي تبرع به السير أرنست كاسل وكان مضافاً الى إيرادات الخزينة . وربع مبلغ الـ ٣٢٠٠٠ جنيه الذي تبرعت به جمعية الصليب الأحمر البريطانية ، وتدفع الحكومة المصرية منه فقد اتفقت الحكومة المصرية والسفارة البريطانية على أن يوضع الاعتماد المخصص لذلك في البنك الأهلي باسم الحساب المشترك تحت اشراف لجنة خاصة ، وان يعين للمعمل اخصائيان من الانجليز : أحدهما مديراً للمعمل وجرَّاح تعرف للمستشفى ويكون اخصائيًا في الجراحة الرمدية ، والثاني اخصائيًّا في الباثولوجيا الرمدية ، ومعاونهما طبيبان من الأطباء الرمديين المصريين ويوجد به الآن كامل

موظفيه ومستخدميه . ولا تقتصر فائدة هذا المعمل على كونه معهداً لتعليم الرمد بمصر والتخصص فيه حسب، بل هو معهد للابحاث في الآفات الرمدية المنتشرة في القطر المصري، ومنها : اكتشاف ميكروب الرمد الحبيبي وطريقة عدوه ، وليس أولى من مصر وهي مرتع هذا الداء الوبيل من اكتشاف سببه

(تعليم في الرمد للاطباء) لما كان معظم الأطباء الذين تحتاج اليهم مستشفيات الرمد من خريجي كلية الطب المصرية، فقد وضع نظام كفيل بتدريب الأطباء المعينين حديثاً بالمستشفيات الرمدية على هذا الفن علمياً وعملياً . وهذا النظام يشمل القاء محاضرات علمية وعملية في فن الرمد ، مدة شهر كامل في كل ستة شهور ، بمعرفة أطباء المعمل الرمدي التذكاري بالجيزة ومدير قسم الرمد ومساعديه من المفتشين .

وقد بدىء بهذا النظام منذ سنة ١٩١٢ ، وكانت هذه المحاضرات تلقى لغاية سنة ١٩١٨ في احد مستشفيات الرمد بالأقاليم، حتى أمكن تخصيص مستشفى كبير من الخيام بالجيزة لهذا الغرض

والآن يجري تعليم الأطباء على وجه أتم ، وتمرينهم التمرين الكافي بمستشفيات الرمد بالجيزة والخيام وروض الفرج والخليفة وفرع الرمد بمستشفى المستردات وقد تخرج من مستشفيات الرمد لغاية سنة ١٩٤٠ حوالي ٣٠٠ طبيب رمدي . ونظراً لاتساع نطاق الأعمال الرمدية بالقطر المصري ، وازدياد عدد وحدات الرمد وأطبائها ، رأت الوزارة ضرورة إيفاد بعثات علمية وعملية الى اوربا للتخصص في فروع الرمد بأنواعها . وقد بدأت الوزارة في إيفاد هذه البعثات من سنة ١٩٢٣ وقد بلغ عدد من أوفدوا فيها لهذا الغرض عشرة أطباء

وترجع الفضل في التقدم الباهر في قسم الرمد في القصر العيني ، وما يؤديه من خدمات للمرضى ، فضلاً عن اتساع نطاق تدريس هذا العلم بكلية الطب ، لم يكن به سابقاً سوى استاذ ومساعد واحد ، الا انه اصبح بفضل رعاية حضرة صاحب المعالي علي باشا ابراهيم يشمل قسمين لكل قسم استاذ ومساعد وجراح ومعيد وطبيب امتياز . ولقد انشئت به درجة للتخصص في الرمد سيشترك فيها أطباء قسم الرمد بوزارة الصحة ، ويتعاون رؤساء هذا القسم مع اساتذة كلية الطب في التدريس بها، حتى يحصلوا على هذه الدرجة التي يكون من شأنها ترقية حاملها علمياً ومادياً

(مكافحة العمى وعلاج الرمد الحبيبي والتصدي له) هذه الوسائل التي تكافح بها امراض العيون في هذه الأيام كان من نتيجتها انخفاض نسبة العمى بين المرضى الذين يكشف عليهم في مستشفيات الرمد وقد كانت ١٧٫٤ في المائة في سنة ١٩١٥ فأصبحت ٤٫٧ في سنة ١٩٣٩ عدا في ذلك العور . أما نسبة العمى بحسب تعداد السكان ، فقد كانت ٤٫٣ في الألف في سنة ١٩١٧ و٨٫٠ في سنة ١٩٣٧ ، خلاف العور

وهذه النسب لا يمكن ان تعطي صورة صحيحة للعميان في مصر ، لأن كثيراً من الناس ينفرون من الاعتراف بعاهتهم ، ولا سيما العميان . كما ان الأعمى في عرف الناس ومنهم العدادون هو الذي لا يبصر شيئاً مطلقاً ، بينما التعريف الفني المصطلح عليه هو « كل شخص لا يقدر على عد أصابع اليد على بعد متر » . ومن هنا يتضح أن عدد العميان الحقيقي بحسب الاصطلاح الفني يجب ان يكون اكثر من عددهم بحسب الإحصاء . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان المرضى الذين يجيئون المستشفيات للعلاج لا يدخل في حسابهم العميان الذين لا يرجون الشفاء ، لانهم لا يذهبون الى المستشفيات للعلاج وكذلك المرضى الذين يقصدون العيادات الخصوصية ونسبة العميان بمصر ما زالت كبيرة ، بالقياس الى غيرها من الممالك الأخرى بحسب تقدير الاستاذ موكس ، كما يتضح من الجدول الآتي المأخوذ من دائرة المعارف الأميركية الرسمية صفحة ١١٢٥ :—

المالك	نسبة العميان في كل الف نسمة	المالك	نسبة العميان في كل الف نسمة
هولندا	٤٤ ر ٠	انجلترا	٨٨ ر ٠
كندا	٦٢ ر ٠	الولايات المتحدة	٩٧ ر ٠
فرنسا	٨٤ ر ٠	الجمهورية الفضية	٥٣ ر ٢
المانيا	٨٥ ر ٠	روسيا	١٠ ر ٣

على ان الأمل معقود على انخفاض النسبة في مصر في المستقبل : بتعميم العلاج الرسمي في انحاء القطر ، وتحسين الحالة الصحية العامة ، ونشر التعليم بين الأهالي . واهم الامراض التي يتسبب عنها العمى في مصر إثنان ، هما : الرمد الحبيبي والرمد الصديدي الحاد

***

(الرمد الحبيبي) هذا المرض مصاب به أكثر من ٩٢٪ من السكان ، ومع أنهُ في معظم الأحوال لا يكون عادة السبب المباشر للعمى ، إلا أنهُ من أهم الأسباب في ضعف البصر . وينشأ عنهُ ألم شديد ، لأنه : ١ — يسبب عاهات بالقرنية تضعف البصر ؛ ويسبب الشعرة أيضاً وهذه باحتكاكها المستمر بالقرنية ، تنشأ عنها قرح وعاهات كبيرة تنتهي بفقد البصر ٢ — يجعل الملتحمة عرضة للالتهابات الحادة

والنسبة العالية للمصابين بالرمد الحبيبي من المصريين ليس مبالغاً فيها ، إذ قد تحقق ان نسبة المصابين به في المدارس تبلغ ٩٢ ٪ وهؤلاء عادة أحسن حالاً في معيشتهم من طبقة العمال والفلاحين

(الرمد الصديدي الحاد) تقدر نسبة ما يحدثه هذا الرمد من أسباب العمى في الحالات

التي تفحص بوحدات الرمد بمقدار ٨١ ، وذلك لأن فتكه سريع ذريع . وهذا ثابت من الاحصاء الآتي لسنة ١٩٣٩ :

عدد المصابين بمجموع أسباب العمى ١٦٦ ٧٤

عدد من يصابون بالعمى بسبب الرمد الحاد ومضاعفاته ٦٣٣٥ ٦٠

ومما هو جدير الذكر أيضاً ، أن هناك ثلاثة أسباب رئيسية للعمى تلي السببين المتقدم ذكرهما في المنزلة ، وهي : الجلوكوما والكتاركتا وضمور العصب البصري . ولا يخفى أن معظم هذه الأمراض المسببة للعمى ، وأخصها الرمد الصديدي والحبيبي ، تصيب عامة الشعب من الفقراء وهم السواد الأعظم من السكان . وثبت أيضاً أن السبب في انتشار هذه الأمراض بتلك الكثرة ، هو فتك ميكروباتها بالمدوى . والواجب علينا في هذه الحالة ، هو علاج المصابين منع انتشار المدوى من المريض الى السليم . ولا بد من القول : بأنه قد فحصت في المدة الماضية جميع الوسائل اللازمة لمقاومة الأرمد في مصر ، ولم تدخر وسيلة ما لبحث كل اقتراح قدم بهذا الشأن . وقد استقر الرأي أخيراً على ما تقدم ذكره من الوسائل ، وقد ظهر من الاستقراء أن أكثر من نصف المصابين بأمراض العيون في القطر تستدعي حالتهم إجراء عمليات لهم . ولأجل نجاح ضمان هذه العمليات يجب أن تستوفى فيها جميع أسباب التعقيم في مكان عملها ، وأن يتولى مساعدة الطبيب ممرضون مهرة . ومن ذلك يتضح أن الالتجاء الى الطرق الرخيصة في مقاومة أمراض العيون بمصر ، ومعالجتها في غير المستشفيات ، لا يأتي بثمرة ، بل ربما يضر

ولقد كان من أثر هذه النهضة ، أن أنظار الهيئات الطبية في الخارج ، اتجهت إلى مصر وقدرت مكانتها العلمية والعملية وتقدمها في علاج أمراض العيون ، فدعتها للاشتراك في المؤتمرات الدولية الرمدية . وفعلاً اشتركت الحكومة المصرية فيها . وأرسلت مندوبين رسميين عنها في المؤتمر الذي انعقد في أمستردام في سنة ١٩٢٩ ، في مدريد سنة ١٩٣٣ . كما اشتركت الجمعية الرمدية المصرية فيهما ، وكان لها فيها ممثلون كذلك . وفي مؤتمر مدريد ، وجهت الحكومة المصرية دعوة رسمية لعقد الدورة الخامسة عشرة بالقاهرة . وقد قبلت الدعوة وانعقد المؤتمر بالقاهرة في المدة من ٨ - ١٤ ديسمبر سنة ١٩٣٨ ، واشتركت فيه نحو ألف من مختلف أقطار العالم

ومن دواعي سغطة والسرور ، أن هذا المؤتمر قد نجح نجاحاً عظيماً جعل الكثير من الأعضاء الذين حضروا جلساته يبقى عليه . وقد أعجبوا كثيراً بتقدم الثقافة الرمدية في القطر المصري كما أعجب المؤتمرون أيما اعجاب بمستشفيات الرمد المصرية عند زيارتها

وقد انتخب كل من المجلس الرمدي الدولي ، والجمعية الدولية لمنع العمى ، والجمعية الدولية لمقاومة الرمد الحبيبي ، أعضاء مصريين ليكونوا أعضاء فيها

جايمس رسل لويل

لمحمد عبد الغني حسن

لم تخل أميركا قبل بزوغ شمس القرن التاسع عشر مكاناً رفيعاً في عالم الأدب العالمي . فقد كانت قبل ذلك طفلة في الوجود لا ماضي يتصل به حاضرها ، ولا قديم يرجع اليه حديثها . ولما نبت عن الطوق وكادت تستوي على قدميها شغلتها حروب استقلالها

ولم يجرؤ أحد في تلك الأيام أن يغني على شاعر أميركي او يقدر مواهبه . ولعلّ شعراء كثيرين ظهروا في هذه الفترة إلاّ أنهم كانوا مغمورين كشعراء ما قبل العصر الجاهلي في الأدب العربي . حتى جاءت مجلة « ادنبره » فتكفلت بتقديم الشعراء والكتّاب الناشئين الى قرائها

ولعلّ أغنى مقاطعات الولايات المتحدة بالكتّاب والشعراء الطبيعيين هي منطقة ولايات « أنكلترا الجديدة » . فهناك على الصخور البل بولاية « هامشير الجديدة » وعلى شاطىء نهر « بيرتاك » الجميل كانت الحياة زاخرة بالحركة الدائمة . وكانت تتجاوب في أجواء هذه الولاية أصداء متباينة ، ترسلها أجراس المصانع وجلبات المعامل الناشئة حديثاً ، وكانت الحلبة تزداد كل يوم تبعاً لتزايد حركة البناء . . . وتعالت في السماء أبراج الكنائس . وتزاحمت في الأرض الفضاء والقرى والمدائن . وأخذت هذه الولاية الناشئة سبيلها في الحياة الجديدة للعالم الجديد بسرعة وعناء . ومن عجب أنهُ يجانب هذه الحركة المادية الصناعية البارعة لم تظهر حركة عقلية تسايرها وتحاذيها . فهنا النهر الجميل الذي يمناظره الساحرة ولكن ليس على شاطئه شاعر . . . وهناك الغابة الكثيفة او الحقيقة ولكن ليس بين جراجها متأمل . . . وهنا أجناس من الخلق مختلفة ولكن ليس فيهم مؤرخ يقص تاريخهم او يسجل حياتهم

وكأن أصوات هذه الضوضاء الصاخبة ، والحلبة الصاخبة ، والمشاغل المادية ، حركت بعض العقول من سباتها وتهتها الى جمال الخمود في ظل الأدب ، والسكون في خمائل العلم . فانتشرت المدارس وظهرت الجرائد . واصلاات بوستن وكامبريدج بالمدارس (. . . . .) وكانت هذه المدارس على تمثل براجها وقدم طرائق التعليم فيها وقد وجدت منها صاحبة فضل الأول في تغذية الروح الأدبي في هذه المقاطعة . وتعالت الصيحات و كانوا الجديدة تشق في

سبيل النهضة العلمية الأدبية بجهود سراع . ولم يبزغ القرن التاسع عشر حتى كان فيها جماعة من الرياضيين والعلماء أمثال « يوسف ستوري » و « وليم برسكوت » و « بكرنج » المستشرق العربي والفارسي الذي أحد عشرين لغة ، وبودتش الرياضي

وأخذت شهرة أخلاقها الجديدة ترتفع بسرعة عجيبة في عالم الأدب . وأتاحت لها الأقدار السعيدة أن يجتمع فيها في النصف الأول من القرن التاسع عشر جماعة من أعلام الأدب الأميركي ، ولدوا فيها وشبوا ونشأت بينهم وشائج وثيقة . ووضعو النوة الأولى في كنز أدب أميركا . كما وضع الجاهليون النوة الأولى في كنز أدب العرب . وأصبحوا نجوماً ساطعة في سماء الأدب العالمي يقرأهم ويحفظ عنهم ويعتد بهم . وفرضوا على العالم — وكان بالأمس مغضياً عن أميركا الأدبية — أن يستمع إلى الهام شعرائها ووحي كتابها وإنتاج أدبائها . وعلى رأس هذه الجماعة ، لونج فيلو ، وأمرسون وثورو (وقد تحدثت عنه في مقتطف يناير سنة ١٩٣٩ ودانا « الابن » ولويل وأكوت

* * *

وحديثنا اليوم عن جائزة رسل لويل . وقد تفيأ به الحديث عن هنري ثورو لأنهما شربا من نبع من الطبيعة واحد . فهما إناها الفارقان في بحرها النجي . انراشفان من حلاوة خمرها . وإذا كان ثورو قد خرج إلى غابة « والدن » وغديرها . وعاش فيها أكثر من عامين بعيداً عن الناس ، مؤتنساً إلى طيرها الساجع وسمكها السابح أو عصفورها القانع ، فإن لويل اتخذ من شباك غرفة مطالعته مرقباً يطل منه على حديقة يلاحظ أشجارها ، ويراقب أطيارها ، ويدوّن أخبارها وآثارها

نشأ لويل في كمبردج الأميركية وهي مهد كثير من الأدباء . فكان أذكى شبابها وأكثرهم توقد ذهن ، وحضور بديهة ، وقد أدرك هو نفسه هذا فداخله شيء من الزهو والغرور . وكانت نيران الفتنة لا تتعالى بينه وبين أترابه . إلاّ أن شيئاً من حفة الروح الكامنة فيه كان يلطف حرارة هذه النيران . ولقد بدأت طلائع نزوعه الأدبي تظهر في صباه . فهو ميال إلى الكتب منهم إلى قراءتها . وهو محب للازهار دائم بها . وهو يضيف إلى ذلك ملامح السرور البادية على وجهه حينما تراه يقرأ أو تسمعه يتكلم أو تشاهده يدخن . ولكن شيئاً من كل الشعر ملازمهُ . فهو يستطيع أن يطرح على ظهره أياماً طويلة غرقاً في أحلام لا انتهاء لها أو سابحاً في ديوان من الشعر . وصائما عاودته نوبات غريبة كان يغيب فيها عن حسه ويذهب في عالم بعيد ... وما أكثر هذه النوبات حينما يتفتح شهر يونيو في أميركا عن عاصفة من أزهار الصيف . وكذلك أشبه صاحبنا « دانا » الابن في معاودة هذه النوبات

هناك في منزل ريفي كبير نشأ لويل . وهو منزل يطل على بياض واسعة وحقول مترامية يتسمخ في الصيف رائحة الهشيم الذي يلفظه « لويل » عابثاً به بين أصابعه . وكانت عنه الآنسة

ماري لويل تقرأ له في الحقل أشعار شكسبير فينام على أنغامها ، كأنها تراتيل المساء ... وكانت هذه السنة أدبية صايفة فهي تعيد اثنتي عشرة لغة . أضافت اليها لغة الحجر وبولونيا

ولقد ساعدت الظروف مجتمعة على تنشئة « لويل » تنشئة أدبية . فمنذ كان عمرت أدبية لغوية . وأبوه يملك مكتبة زاخرة بالنفيس من الكتب . وشباب كامبريدج من آراب لويل وأقرانه اشتهروا بذوق أدبي خاص . والطبيعة من حوله ساجية جميلة حتى في ساعات عبوسها ... ! والظروف كلها مواتية فلم لا يقرأ ؟ ولم لا يفهم ما يقرأ ويستوعبه ؟ . ولم لا يعلق على ديوان هذا أو كتاب ذاك ؟ وفوق ذلك ان الطبيعة أمامه سفر مفتوح وكتاب مسطور فلم لا يقلب طرفه فيها

هذه خزانة أبيه عامرة بالكتب . فاليوم لسقراط . وغداً لأفلاطون . وبعد غد لكنفوشيوس الحكيم . وكانت طلاقة لسانه في اللاتينية لا تقل عنها في الانكليزية . فاذا بدأ الكلام لم تبرح أنغامه . ولم يحتبس لسانه . وكان دقيق النظرة كما كان دقيق الفكرة . وكذلك شأن شعراء الطبيعة وكتابها . فما مرت حادثة في حديقة الا سجلها وعلق عليها والمس لها تأويلاً وتفسيراً . ولا قامت معركة بين طائرين الا شاهد حوادثها وعرف تفصيلها . ولا حط غراب ليشرب الا عد كم مرة بلل ريشه وكم مرة ألقى منقاره . وكان أبوه يأخذه الى مخزن الفلاين يراقب الطيور المهاجرة قبل أن تشد رحالها وترمح رحيلها .. وكان لا يبالي أن يقف الساعات الطوال يستمع الى تغريدة من طائر الى أليفه . ولم يعل ابداً أن يسهر الليل ليسمع طائر الكوكو (وهو يغني كما تدق الساعة السويسرية)

ومن شباك غرفته المطلة على الحديقة ، ثم من ذلك الشباك العتيق ذي الطراز الأول كتب لويل كتابه « من شباك غرفة مطالعتي » . وكان أول فصل من فصول الكتاب وصف بديع « لمعارفه واصدقائه في الحديقة » ومن غير طيور الحديقة أول بصداقة لويل ومعرفته ؟ لقد وصفها وهي تختلس حبات التوت او تلتقط حبات الفراولة . وصفها وهي تحط جماعة وتطير جماعة . وصف جماعة منها (وهي تغني كنشاد النار حول النار — في غير انسجام ولا تناسق)

وليس الكتاب كله صورة للطبيعة ، أو وصفاً للحديقة . ففيه فصول تناول فيها ترجمة الذين قرأ لهم أو عرف أدبهم . فهناك فصل ممتع عن « ابراهام لنكولن » وآخر عن « جانس برسفان » وثالث عن هنري ثورو معاصره . ورابع عن « تشوسر » الانكليزي . وخامس عن « بوب » فهو نوع من كتب النقد الأدبي تجلت فيه مواهب لويل وكبرياته وسعة اطلاعاته وقراءاته

تتلمذ لويل على امرسون وتأدب بأدبه . وكثيراً ما ذهب الى « بوستون » ليسمع محاضرة منه أو يثير مناقشة معه . وكثيراً ما اخذه امرسون الى « صخور الشاطئ » يقضيان الطريق في حديث طويل . ولقد أعجب التلميذ بمعلمه وأحبه واستشهد بكثير من عباراته وكان أحبها اليه

توب امرسون أن غرفة المفتي قد غصت جدرانها وحوائطها بكتابة غير مستبينة ولا واضحة، فقد شئت ان تحمها و تصحه للقراءة فاستعن بسبب شمعة

فلما أن لويل كان ذكيًّا . ولكن هذا الذكاء الخارق لم يقعد به عن العمل والنشاط . فكان دءوبًا كالنحلة — إلا في ساعات كسله الشعري — صابرًا على الجهد المتصل والعمل المستمر وكان فيه ميل إلى القديم ولم يكن ميلاً إلى الخمود أو الرجعية . وإنما هو ميل الى الاعتزاز بالماضي والاعتداد بالتراث . . فطراز بيته قديم . ومقاعده عتيقة الطراز وهو يحن دائمًا الى القديم من ودّه . والأول من صداقته ويؤثره على الطريف

ولكن لويل كان متناقضًا في ظواهره . وقد حير تناقضه هذا كل من اتصل به فهو حار القلب تارةً وبوردة تارةً أخرى . وهو صوفي في بعض أشعاره والذاتي في بعضها، وهو يعطيك الحلاوة من ظرف سقايه إذا نقبته وإذا غمت رأس منك كأس بروغ الثعلب . . . كان غريبًا في منافساته ومحاوراته فهو حريص دائمًا على أن يكسب الموقعة ولو كان خاسرًا . حريص على أن يكون الظافر في الجدل ولو لم يكسبه . . . وقد يتخذ من حركات يديه ووجهه ما يبينه على ذلك . فاذا اندمر على خصمه ابتسم ابتسامة ماكرة ثم اعتذر عما بدا منه في أثناء الجدل بأنه صنعه لأول مرة في حياته . ولم يكن بين لويل ولونج فيلو الشاعر معرفة حتى سنة ١٨٤٦ فقد قرأ كل منهما شعر صاحبه ولكنهما تبادلا في ذلك العام جمت الاثنين غرفة واحدة هي غرفة لويل المهجورة . . . فتحدثا وتحدثا ينتقي الأحاديث وطال الكلام، وكانت حركة منع الرقيق موضوع الحديث . ولا يعجب ذا حماس لويل لمنع هذه الرذيلة الانسانية . فالدم الديموقراطي يجري في شرايينه وورده . وزوجته الشابة الذكية ماريا هوايت شاعرة رقيقة الحس مرهفة الشعور حرة الفكر، وهي فوق ذلك نصيرة لكل ما يجري في أميركا وأنصار الحرية فيها

هذا هو لويل الكاتب . أما لويل الشاعر فقد اتخذ لنواح الشعر كلها من أغان وأهازيج الى ملاحم . وله دواوين — لولا خشية التطويل — لنقلنا أسماءها هنا . ولكنها في مستطاع من يريد الحصول عليها . وكان شعره يمتاز بالتلون الفني والذوق الموسيقي . والمهارة التكوينية او ما تسميها نحن حاسة الوصف . ولا يقل في شاعريته عن تنسون أو هوود و غيرهما . ولكن شهرتهم علت على شهرته . فدنوه في ميدان الإلهة الشعر شوط بعيد . . . ولعل مما ضاع شهرته في الشعر انه كان مفكرًا عظيمًا . ولم يكن أصيلاً مبتدعًا . حتى فقد تحاه بعضهم شاعر الظلال . فهو في أغانيه الشعرية عن من قرأهم

ولا أدل على شهرة لويل منذ « لونج فيلو » معاصر « لويل » فقد كانت عاملاً من عوامل خفاء كل من ظهر من شعرائه في عصره . وفي هذا يقول الشاعر العربي

« في طلعة الشمس ما يغني عن القمر »

سلاسل التطورات

والطراز الأسمى للحياة[1]

لنقولا الحداد

التطور سنة طبيعية في الوجود

التطور سنة طبيعية للكون كله . ونعني بالتطور تغير صور الوجود أو تحول المادة من حال الى حال بعمل القوة المسببة حركتها . فهو سجية الوجود الملازمة له . ففيما كانت ذريرات المادة (كهيربات وبروتونات) تتجمع والقوة تتفلت منها اشعاعاً تألفت ذرات العناصر على أنواعها بقوة التجاذب الذي نسميه ، وهو في ذلك الدور تجاذباً كهربيًّا . فكان تألفها أول صورة من صور التطور . وتلاه تألف الذرة في جزيئات بقوة الألفة الكيميائية (على نحو ما شرحته في مقالي في جزء مقتطف يونيو ١٩٤٠) فكان تألفها صورة ثانية للتطور . وتعددت أنواعها فكانت أكثر كثيراً من أنواع العناصر . ثم عقبه انتظام الجزيئات بقوة التجاذب الكيميائي في بلورات فكانت البلورات العديدة الأنواع والأشكال صورة ثالثة للتطور . ثم عقبه تعاقد الكهيربات في خلايا بقوة العامل الحيوي وهو كيفية من كيميات التجاذب أيضاً على نحو ما شرحته محرر المقتطف في فصل «الفيروس» في كتابه «آفاق العلم الحديث» فكانت الحياة صورة رابعة من صور التطور

وامتازت الحياة بخصال التوالد والنمو والموت في سلاسل متعاقبة الحلقات اذ تنشأ الخلية الواحدة ثم تنمو ثم تدثر بعد ان تلد خلقات أخرى وتبقى السلالة مستمرة . وامتازت الخلية الحيوية عن البلور بأن النمو فيها يحدث باندماج بجزيئات من داخلها . وأما في البلورات فيحدث باضافة الجزيئات متوازية حول مركز البلورة . وانتصرت الحياة في تطورها المملكة النباتية طورها الأول ، والمملكة الحيوانية طورها الثاني . وكان للمملكتين تنوعت أنواعاً لا تحصى . وامتازت المملكة الحيوانية على المملكة النباتية بالحس والحركة الذاتية

---

(١) كتب هذا الفصل على أثر مطالعة كتاب «سلاسل التطورات» للاستاذ فل لاضي . ونشر في صدر مقتطف يونيو سنة ١٩٤٠

ثم انتق من هذه المملكة الانسان ممتازاً على الحيوان بالعقل المنطقي الفكر المتذكر المعلل المستنتج ثم المتخيل والمتفلسف . فكان نوعاً آخر مستقلاً عن سائر الأنواع الحيوانية بخواصه ومزاياه . فهو اذن مملكة انسانية قائمة بذاتها غير محصورة في المملكة الحيوانية بل هي متفردة عنها . واذن أيضاً هو طور سادس غير طور الحيوانية الذي هو خامس التطورات

هل التطور نهائي ؟

ليس عندنا ما يقنعنا بأن التطور الحيوي حدث ما دامت صلاحية الأرض للحياة في أوائل عمرها . فالتطورات التي توالت على الأرض لم تستنفد من عمرها الا اليسير منهُ ، لأن العلم الطبيعي يقنعنا بأن سطح الأرض كما نراه الآن كان على هذا النمط ملايين السنين ، وسيبقى عليه اضعاف تلك الملايين بتغير قليل فيه لا يعتد التطورات في مجاريها . فاذا كان قد مرَّ على نشوء الحياة ٥٠٠ مليون سنة ، وعلى نشوء الانسان نصف مليون سنة وعلى محضره ٥٠ الف سنة فأمام تطور الحياة الانسانية مليون مليون سنة على الأقل تبقى فيها طبيعة الأرض وحرارتها كما هي الآن تقريباً

واذا كان التصور سنة الوجود وليس له حد في مخيلتنا فلا بد أن تستجد في الدهور الطوال القادمة مئات أو ألوف من التطورات . ولا سيما لأن سنة التطور تجري متسارعة على قاعدة السلسلة الهندسية أي انها كلما تقدمت أسرعت . والفترات بين طور وطور تكون أقصر منها كما كانت فيما قبلها . فماذا يكون تطور المملكة الانسانية في المستقبل اذن ؟ وكم تطور يطرأ عليها ؟ وكيف تتكيف هذه التطورات ؟ — هذه هي الأسئلة التي تلوح بالبال عن مستقبل الانسان

امتاز الانسان في تملكه الانسانية الجديدة المنشقة من المملكة الحيوانية بأن « مصيره في يده أكثر مما هو في يد العوامل الطبيعية . أي أنه قليل الخضوع لحكم البيئة الطبيعية أو الاقليمية وهي صعبة التأثير فيه . يتحكم في العوامل الطبيعية أكثر مما هي تتحكم فيه . يكيفها على هواه أكثر مما هي تضطره أن يلائمها . فلكي يسلك البحار لا يضطر أن ينشىء في جسده زعانف بل يصنع لنفسه مركباً ذا مجاديف تقوم مقام الزعانف وغواصة تموِّنه بالاكسجين والأدوات التي تعينه على الخياشم . ولكي يطير لا يضطر أن ينبت بجناحين جسديين بل يصنع طيارة خفيفة يطيرها . ولكي يسرع في الانتقال لا يضطر أن يجري بسرعة الجواد بل يصنع دراجة بخارية أو كهربائية تسرعها أضعاف سرعة الجواد . ولكي يحس عن مسافة بعيدة احساس الخشيرات والطوم المتنازة يستخدم سرعة الامواج الكهرطيسية

فهو قد فاق جميع أجناس المملكة الحيوانية وأوتيها في ملايين أضعاف العوامل البيئية المختلفة

في البحر والبر والجو ، وأعنة السرعة والاتقان في استمداد حاجاته ورغائبه من نواحي البيئة من غير ان يضطر ان يغير عضواً من اعضائه ، وخلية من وظائفها او شكلاً من اشكال بنيته الجسدية . ولا هو مضطر ان يكيف جسده مضطراً للعوامل الآلية ولا الطبيعية لانه يستطيع ان يجعل طقس الصحراء الذي في منطقة الاستوائية وطقس القطب الذي في المنطقة المتجمدة كطقس المنطقة المعتدلة . ويستطيع ان يجعل طريقه في الجبال والوعور سهلاً

لذلك ستبقى بنيته الجسدية والفسيولوجية كما هي دهوراً طويلاً ، لانه لا يطرأ عليها من التغير شيء يستحق ان يعتبر اميراً فسيولوجياً للامة البيئة

المملكة العقلية

اذاً ، ما الذي تطوَّر في الانسان حتى جعله يتحكم في البيئة كما يشاء ؟

الجواب : ان تطور الانسان أصبح تطوراً عقلياً لا جسدياً . فهو بعقله قبض على أعنة نواميس الطبيعة وجعل يستخدمها كأنها اعضاء من اعضائه . فاذا أستطاع ان يسبق الجواد في سرعة الجري وان يفوق الباخرة في النقل فانهُ جعل قوة البخار والكهرباء من اعضائه

بعقله الذي أغناه عن تطور جسده للامة البيئة الطبيعية ملك عنان النواميس الطبيعية وجعل البيئة تتكيَّف بحسب رغبته

لذلك هو كنوع من أنواع الحيوان لم يبقَ مختصاً بأقليم من أقاليم الارض دون آخر ، بل أصبح سطح الكرة الارضية كلهُ أقليماً واحداً له مهما تباين العوامل في أنحائه . فانتشر الانسان في جميع أنحاء الارض على الرغم من اختلاف أقاليمها وسيطر عليها جميعاً ، و ستطاع ان يقرض من أمامه معظم انواع الحيوانات التي تنازعه البقاء . ولا يزال يكافح سائر الأحياء من وحوش وضواري وحشرات وهوام وجراثيم الى أن يقرضها جميعاً ويبقى اخيراً وحده مستبقياً معه الحيوانات الداجنة التي ينتفع منها والنباتات التي يستغلها . وهكذا ستكون المملكة الانسانية سيدة الارض دهراً طويلاً بقوة العقل

فالتطور الذي ابتدع من المملكة الانسانية هو تطور عقلي . ولذلك يمكننا ان نحسب هذا الدور من التطور « مملكة عقلية » وهي التطور السابع

ولقد قامت الى جنب هذه المملكة مملكة اخرى متفرعة عنها او معها من المملكة الانسانية هي « المملكة الاجتماعية » كما قامت « مملكة الحيوانية » الى جنب المملكة النباتية ، وكلتاهما متفرعة من الحياة . وفي هذه « المملكة الاجتماعية » تجلى سنة التطور السابع كما تجلت في بدء هذا المقال ، وهي « تجمُّع المادة ، تعاظمت القوة منها » فتجمع الافراد في جماعة واتحاد

في عضو انما هو ائتلاف يشبه ائتلاف الذرات في جزيئات وائتلاف الجزيئات في خلايا، وائتلاف الخلايا في أجسام. وبهذا الائتلاف تنتج جماعات المتآلفات وتصدر منها القوى في غضون تآلفها، كما تصدر الحرارة في اثناء ائتلاف الاوكسجين مع الكربون في انشاء الحامض الكربوني او غير ذلك من الائتلافات الكيميائية التي يعرفها الكيميائي جيداً. فالطاقة التي في الجماعة هي أعظم من طاقة الأفراد متفرقة. وهذا هو أصح تفسير لقول السائرة الاتحاد قوة.

حاصل القول ان المملكتين العقلية والاجتماعية ابتدتا من المملكة الانسانية يتطورن متآخيين. فهل يقف تطور الانسان عند هذا الحد؟

التطور العقلي

اذا كان تطور الانسان الجسدي قد وقف عند حدٍّ فلأن عقله تسلَّم من جسده عملية التطور. أصبح تطوره عقليًّا لا جسديًّا. العقل الآن يتطور. وقد بدأ تطوره منذ شرع الانسان يستخدم سنن اطبيعة لمنفعته — منذ شرع يستخدم المياه المتحدرة لادارة الرحى. ومنذ اخترع العجلة لكي يخفف الحمل عن عاتقه. ومنذ اخترع الوثاق لشد العجلة الى كتفي الحصان الخ

ولو بقيت الى الآن فضلة من الانسان القديم الذي اخترع هذه المخترعات ووازنَّا بين عقله وعقل انسان اليوم كاشف قوة البخار والكهرباء ومخترع الحيل الميكانيكية العجيبة لاستخدام هاتين القوتين لأدركنا في الحال كيف تطور عقل الانسان منذ صار يدعى انساناً الى اليوم. وقد نلاحظ شيئاً من هذا اذا قابلنا عقل الانسان الهمجي في قلب افريقيا مثلاً بعقل الانسان الراقي فنرى البون الشاسع بين العقلين. ومهما نحاول تعليم الهمجي وتثقيفه فلا أظن أنهُ يستطيع أن يفهم هندسة اقليدس وناموس الجاذبية ونظرية الكهرباء الخ

فالعقل إذن يتطور. فهل لا يزال يتطور؟ وكيف يكون إتجاه تطوره في المستقبل؟

هذا ما يتعذر التكهن فيه أو يكاد يستحيل التنبؤ بشكله. وانما يمكن القول إن ما يصعب الآن على الانسان تعهده من التطورات قد يصبح سهلاً على إنسان المستقبل. فمثلاً قد يسهل على تلميذ المستقبل أن يفهم نظريات أينشتين والاثير وغيرها كما صار يسهل على تلميذ اليوم أن يفهم سريعاً أن الارض تدور حول الشمس في حين أنهُ يرى بعينيه العكس وفي حين أن الهمجي لا يستطيع أن يفهم هذا ويتعذر عليه. وسيستحيل على انسان المستقبل غوامض العلم والفلسفة ويستغلها كما يستحيل على انسان اليوم سر البرق الخاطفة والحرارة والنور. وأما ما يكشفهُ العقل من أسرار الكون الأخرى وكيف يستغلهُ فهو يستحيل التكهن به وتصوره الآن. وإذا لم يكن بدٌّ من إستمرار التطور في الدهور الغابرة الى مدة طويلة مثل المدة التي عهدناها فقد يكون التطور الذي في هذا التطور العقلي في غير به الآن قد بدأ دوره. وهذا الدور من التطور هو المملكة العقلية المنبثقة من

المملكة الانسانية فاذ يمكن أن تكون المملكة المستقبلة ؟ وماذا تسمى يا ترى ؟

لا بدَّ أن تعاقب التطورات في الدهور المقبلة التي تطوي ملايين السنين . ولا بدَّ أن تتوالد فيها ممالك تطورية كالمملكات النباتية والحيوانية والانسانية والعقلية والاجتماعية . فاذ تكون ؟ وكيف تكون ؟

هل يستطيع العقل الانساني الآن أن يتخيل كيف يكون حفدتهُ وأطفال حفدته ؟

وإذا كان الانسان وهو الآن في طالع مملكته العقلية قد استعبد الجاذبية والكهرباء واختزل قواهما وأتى العجب العجاب في إستخدامها من راديو وتليفون وتلغراف وسينما وو و الخ فما يقف عنده العقل نفسه الذي اصطنعهُ حائراً دهيشاً فاذا يفعله هذا العقل القدير في الدهور القادمة المتطاولة حتى في العهد القريب

طوبى للذين يولدون في ذلك المستقبل الهيِّ إلاَّ إذا كان انه الشر يسيطر على تلك المملكات القادمة كما يسيطر الآن فالويل لهم

ولكن هل يمكن أن يعيش العقل دهوراً طوالاً تحت راية الشر ؟ لا بل ينقرض الانسان وعقله بفعل الشر الكامن فيه ليكون قد حمل أسباب فنائه في أذيال إرتقائه . ثم ماذا ؟

هل نستنفد المواد اللازمة للحياة

الطاقة أرضية أبدية لا تفنى

بقيت لي فكرة في مستقبل المواد اللازمة للحياة

اللازم لبقاء الحياة : أولاً الغذاء . وثانياً الوسائل لدرء عوادي الزمان والمكان عن الحياة من برد وحر وما اليها . وثالثاً أسباب التمتع بالذات. وللحصول على هذه جميعاً لا بدَّ من استخدام الطاقة (القوة) فضلاً عن المادة

قد يرى بعض الناس أن المادة من غذاء وطعام متوفرة للانسان في الأرض وانما هو في أشد حاجة الى الطاقة التي يستخدمها في لوازمه الرئيسية الثلاث التي أوردناها آنفاً . ويرون أن قوة عضل الانسان غير كافية لاستخراج حاجاته المادية من الأرض لأنه صار كثير المطالب والرغائب واسع المطامع على أن عقله هداه الى اختزان قوات الطبيعة واستخدامها بالنيابة عن قواه العضلية فكأنت لهُ ألوف أضعاف قوته البدنية . و يستطاع بواسطتها أن يستخرج من خيرات الأرض اللازمة لرغائبه وشهواته أضعاف أضعاف ماكان يستخرجه بقوة ذراعه بل ان ذراعه وساقه استراحتا على عاتق قوات الطبيعة التي نحن بصددها . وقد انتقل كل عمله من عاتق جسده الى كاهل عقله . أصبح العمل من وظيفة عقله لا وظيفة جسده

والى العصر الأخير كان الانسان يعتمد على ما ادخرته الطبيعة له في بطن الأرض من الطاقة وهي الفحم الحجري والبترول وأمعن في استخراجهما وأسرف في استهلاكهما حتى خشي أن يستنفدهما في وقت محدود طال أو قصر، الى أن يضطر أخيراً الى العودة لغريزة الحضنة وهي لا تقوم بجزء صغير من مطالبه ورغائبه وحاجيات شهواته فيعيش تعساً لأنه يعيش حينئذٍ متفقراً. وقد ينحط الى همجيته القديمة

ولكن أين يذهب الفحم والبترول اللذان يحرقهما لتوليد القوة وتحريك القطار والسفينة والطيارة والمعمل والمصنع والتدفئة الخ؟ أين تذهب تلك المواد المحترقة؟

تتحول الى غازات وبخار وبسائط مركبات كيميائية تكون أغذية لنباتات البر والبحر. وهذه تكون بدورها أغذية لحيوانات البر والبحر. وكلا النوعين من نبات وحيوان يكون بعضها غذاء للانسان والبعض الآخر الأكبر وقوداً كالفحم والبترول لتوليد الطاقة التي تحت سيطرة الانسان نفسه

فالطاقة والمادة لا تفنيان. وانما تتحولان تحت سلطة الانسان الى طاقة ومادة في دورة كيميائية معلومة. والانسان نفسه حلقة في هذه الدورة. فهو يغذي بالمادة ويتحول الى عناصر المادة التي يتكون منها غذاؤه. وكذلك قواه التي عملها في حياته تتحول الى القوى التي استمدها من الطبيعة في حياته

وعلى هذا فالهم ومصدر الطاقة في الطبيعة اعظم جداً مما يتخيله الانسان عظماً في الفحم والبترول. فهو في حرارة الشمس التي لا تنضب في بلايين السنين وفي قوة الجاذبية التي هي سجية المادة او خاصتها. فما دامت حرارة الشمس تُصعد ماء البحار بخاراً ثم تستمطرها الجاذبية أمطاراً تجريها سيولاً وأنهاراً فالطاقة التي تتولد من هذين العاملين تحت سلطة الانسان لا نهاية لها، وهي أعظم جداً من الطاقة المخزونة في الفحم والبترول. فليفن الفحم وليذهب البترول. فالسيول المنحدرة من أعالي الجبال والآلام او الطاقة مستمدة مباشرة من الشمس[1] تغني عنهما اذن، لا خوف من استنفاد الانسان الطاقة مهما يسرف في استهلاكها

وانه قد يلوح في البال ان الطاقة التي لا تفنى لا تسد وحدها حاجته من الغذاء والكساء والمأوى والترف اذا تمادى في التناسل اذ ليس لقوة التناسل من حد. وانما للمواد الغذائية وتوابعها من حاجات الحياة حدود. فقد يكثر الناس الى حد ان لا تكفيهم حاصلات الأرض فالى أي عدد يمكن ان يزداد السكان على الأرض بحيث لا يصبح الرزق شحيحاً لهم. وهذا ما يلوح في بال الكثيرين

---

(١) راجع مقتطف يونيه ١٩٤٠ مقال (لم طاقة الشمس) صفحة ٧٧

تحويل جبل القطم الى بشر

الجواب : هو نظريًا الآن وعمليًا في المستقبل) : لا يكاد يكون ثمت حدٌّ لعدد السكان الا الحد الذي تتحول فيه عناصر المركبات العضوية كلها الى بشر، اي ان الحد النهائي هو ما على سطح الارض من كربون وايدروجين وأوكسجين ونيتروجين تتركب منها بالنسب اللازمة اعضاء الأحياء نباتاً وحيواناً وانساناً

فالكربون وهو أهم عناصر العضويات موجود في تراب الارض وصخورها (كربونات الجير) . والعلم يقدر الانسان على حل هذه الأتربة والصخور الى كربون وأوكسجين وجير . وما أغنى ماء البحر بالايدروجين والأوكسجين ! وحبذا لو صار في طوق الانسان . والنبات نفسه يستطيع حلها والاغتذاء بها . والجو غني بالنيتروجين، وقد صار في وسع الانسان ان يصنع منه حامضاً نتروجينياً ثم يركب منه النترات اللازمة لتغذية النبات الذي يغتذي بها الحيوان وبهما كليهما الانسان

فليس على الانسان بمستصعب ان يحوّل كربونات الجير في قشرة الأرض ومياه البحر والهواء الى نبات وحيوان وأخيراً الى انسان . وفي وسع طبيعة الأرض ان تغذي ملايين ملايين البشر بحيث تصبح قشرة الأرض كمثل بشر . في وسعه ان يحول جبل القطم كله الى بشر

فلا يخف الناس أن يستنفدوا خير الأرض في حين من الأحيان بتكاثرهم وان يموتوا أخيراً من الطوى مهما يتناسلوا ويتكاثروا ؛ لأن المعرفة التي توصل اليها العقل تقدر على استخراج الخيرات من الارض بلا حد

ولكن ليس ضيق الأرض بأهلها او نضوب خيراتها يكد حياة الناس وينغص عيشهم . وانما الذي ينغص عيشهم هو تنازع جماعاتهم وأفرادهم على هذا الرزق الوافر من غير ضرورة فاذا استطاع البشر ان يعيشوا متسالمين متآخين استطاعوا ان يتناسلوا ويتكاثروا ملايين الملايين من غير ان تضيق الارض بهم

أن الانسان الذي بلغ في التطور مرحلة « المملكة المتقية » لا يرى طفلاً أو جنيناً في « المملكة الأدبية » الا حلاوة . هذا هو التطور الانساني القادم . فاذا تم هذا التطور فالانسان استطاع أن يعيش متكاثراً وأن يعيش مع تكاثره سعيداً من غير أن يخاف فقراً أو طوى ومن غير أن يضطر أن يقول قول المستعمرين « نحن كثيرون نحتاج إلى أرض لنعيش »

الأرض واسعة ولكن جشع الانسان فيها أوسع . فشأن الله عناية الانسان الى الصلاح والوئام وفي إجادته على نفس وتسوى الذين يرفل عليهم الرحمن نعمه بالخيرات

انسان المستقبل

صفاته البيولوجية

كما يراها أساطين العلم الحديث

المرجَّح ان انسان المستقبل سوف يكون أمدّ قامةً ، وأذكى عقلاً ، وأشدُّ مناعة ضدّ الأمراض،من انسان اليوم . والمحتمل ان يضيف بضع سنوات الى مدى حياته بل قد يتمكن من ان يتحكم في مواليده من بنين وبنات

***

بهذه العبارات البسيطة يلخص بحث طائفة من أشهر علماء الأحياء في هذا العصر ، الذين أنتهوا بتجارب تنطوي على براعة وابداع ، أن الشكل واللون والحجم والبناء والطبائع والمزايا الشفية (Sex) في بعض الحيوانات يمكن تغييرها ، بل يمكن ان يقلب اتجاهها قلباً تامًّا . وقد تحكموا في أفعال الحياة الأساسية في عالم الحيوان ، حتى أصبحوا قادرين من ناحية سيطرتهم على أفعال الوراثة ومزايا البيئة،ان يحوّلوا السمندل Salamander من حيوان مائي الى حيوان بري ، وان يضاعفوا حجم الفئران والجرذان والسمادل ، وان ينشئوا ضرباً من ذباب الفاكهة لا أجنحة له ، وصنفاً من السمك لا عيون له ، ويمكنوا الشق في الطيور والضفادع — أي أن يحوّلوا الذكر الى أنثى والأنثى الى ذكر

تمام الأحياء بكواشفه الدقيقة ، ومجاهره ، وجداوله ، يملك تحويل المستقبل. ان تجاربه قد أسفرت عن حقائق حيوية غريبة عن أفعال الحياة الأساسية ، فردَّ بها القول بالعداء والنزاع بين الوراثة والبيئة ، وثبت ان الكائن الحي نتيجة التفاعل بين الاثنتين.

يعترف بعض البيولوجيين بان طبيعة الانسان ومصيره يتغيران باحداث تحويل في عوامل الوراثة ، أو انقلاب كبير في أحوال البيئة . ولكن الأمل الكبير في إمكان السيطرة على خصائص الانسان ، من الناحية البيولوجية ، يقوم بالسيطرة على أحوال معينة في خلال تكونه ونموه . فالمشكلة التي أمامهم ، هي الكشف عن العوامل والوسائل التي تمكنهم من تطبيق ما عرفوه عن الحيوان ، على حياة الانسان

فقد ثبت لهم ان المادة لحية شديدة المرونة . وأنها تخضع للعوامل التي توجهها اليها اذا عرفنا هذه العوامل وخصائصها معرفة دقيقة . وعليه فالتقدم البشري لن يكون بعد الحصول على هذه المعرفة ، عرضة لتصاريف الأقدار ، بل أن انسان المستقبل ، سوف يكون أشبه شيء بتمثال بارع ، ينشيء الحياة على المثال الذي يراه ، ليتحكم في أغراض الحياة ومصيرها

***

في هذا العمل الباهر لا بد ان يكون للهرمونات (الأثوار) مفرزات الغدد الصم مقام وأي مقام . فهي تسيطر على جرم الجسم ، هل تكون سويه او أقزاماً او مردة . بل هي تسيطر على طبائعنا ، هل نكون شديدي النشاط او شديدي الكسل والتراخي ، وهل نمثل أجسامنا الصنم الذي نأكله أو لا نمثله ، هل نكون من الزعماء في جماعتنا او من الأتباع ، وهل تتصف عقولنا بصفات الرجل الاجتماعي الأمثل او نكون من المجرمين

وقد استعمل بعض الأطباء خلاصة الغدة الدرقية في حقن أناس وقدر ونشأوا صغار الجثة قصار القامة فكان من أثر هذه الخلاصة التي حقنوا بها ان أصبحوا مديدي القامة

وقد صرح الدكتور ردل Riddle رئيس « جمعية درس المفرزات الداخلية » في الولايات المتحدة الاميركية ان هرمون الغدة النخامية قد يستفرد مثل هرمون الغدة الدرقية قريباً . او قد تقضي سنوات قبل استفراده . ولكنه اذا استفرد وعرفنا كل ما يجب ان نعرفه عنه استطعنا استعماله في خلال أدوار الطفولة في المواليد الذين يثبت ان غددهم النخامية صغيرة وينتظر ان ينشأوا أقزاماً فيحون الحسن بخلاقتها دون ذلك

ثم ان التقدم في درس المناعة ، ووسائلها ، ينبيء بحلول يوم ، يتمكن فيه الأطباء من تحصين الطفل ضد أمراض الطفولة ، وتحرير الكبار من قيود الأدواء التي تصيب الجسوم والعقول فاذا تم للانسان ذلك تقدم الى غزو الطبيعة بقدم ثابتة وعزيمة لا تعرف التردد والخوف

ولما سئل الدكتور ردل عن مستقبل الذكاء الانساني ، قال من المتعذر ان نتنبأ بما قد يبلغه الذكاء الانساني من التقدم ، بالنظر في الحقائق المسلم بها الآن . ولكن عقل الانسان مرتبط ببناء جسمه ، ويستحيل علينا ان نظر الى العقل والجسم ، كأنهما وحدتان منفصلتان . فاذا تمكن الانسان من ان يسيطر على نموه الجسماني ، فلا يعقل ان يعجز عن محاولة درس الأحوال والبواعث التي تتيح له التأثير في قوى العقلية . والراجح ان يوجه الباحثون في المستقبل عنايتهم الى درس العوامل التي تحمل من الانسان الواحد ، سياسياً خطيراً ، او مالياً كبيراً ، او عالماً بارعاً ، او فاعلاً بسيطاً ، ويحتمل ان يتمكنوا بعد ذلك من السيطرة بعض السيطرة عليها

هذه الأقوال العجيبة مبنية على احتمالات علمية أسفر عنها التقدم العظيم الذي تمّ في علوم الأحياء في خلال نصف القرن الماضي . وتحقيقها متوقف الى مدىً ما على السيطرة التي يستطيع الانسان ان يباشرها في البيئة الطبيعية والاجتماعية ، وعلى استعمال القدد العمّ ومفرزاتها . وتطبيق القواعد التي كشفها البحث في الوراثة وارتقاء العلوم الطبيعية على اختلافها

***

ان كروموسومات (صبغيات) الخلية أشبهُ شيء بعصيّات ، او حبيبات دقيقة منظومة في عقود. والكروموسومات مؤلفة من عوامل الوراثة ، والى هذه العوامل ترتدُّ الصفات الانسانية الأساسية . هل الشخص ذكر او انثى . هل هو أزرق العينين او أشهلها . هل في تركيب جهازه العصبي خاصة الموسيقى المرهفة . ان الفرق بين يتوفن العظيم ، والرجل الأبله ، ليس الاّ فرقاً في انتظام عوامل الوراثة في الكروموسومات . فاذا تغيَّر انتظام هذه العوامل في الخلايا ، ظهر في النسل تحوُّل في الصفات الوراثية ، حتى ولو لم تتغيَّر احوال البيئة التي يعيش فيها ذلك الكائن . وقد يكون التحوُّل غير منتظر على الاطلاق ، في شق الكائن (ذكراً او أنثى) او لون شعره ، او لون عينيه ، او مقدرته العقلية

خذ مثلاً على ذلك ذبابة الفاكهة الاميركية المعروفة بالدروسوفيلا . ان لون العين الأحمر في هذه الذبابة يرجع في الغالب الى انتظام خمسين زوجاً من عوامل الوراثة ، انتظاماً معيَّناً . فاذا التقت عاملاً واحداً من هذه العوامل الثانة ، كانت النتيجة ان عين الخلف لا تكون حمراء بل قد تكون بلا لون على الاطلاق . وكذلك ترى ان عاملاً وراثيًّا واحداً ، يحوّل صفة معينة ، اذا كان ناقصاً او اذا كان غير سويّ . ولكن امامك خمسون زوجاً من العوامل ، تتجمع كلها لاحداث صفة لا حصر لها في حياة الذبابة ، هو لون العينين . واذاً فالطرق امامك متعددة لاحداث تغيير في لون عيونها

وكذلك في النسل الانساني . فعوامل الوراثة عديدة لا تحصى ، واحتمالات انتظامها في أشكال متباينة عديدة كذلك . واذاً فالنسل يختلف عن الأبوين ، ويختلف افراده بعضهم عن بعض . وهذا يعلل لنا نجوب ، عبقري عظيم ، كتشكسبير ، او لنكن ، او بتوفن ، من والدين لم يمتازوا بشيء من دلائل العبقرية . وهو يعلل لنا كذلك ان أولاد ، لبون وجوته لم يكونوا عباقرة مثل والديهما

***

فاذا كنا نستطيع ان نسيطر على تفاعل هذه العوامل الوراثية في انتظامها ، فننظمها بحسب ما نشاء ولا نزال انتظامها للمصادفة العمياء ، فان الدلائل تدلُّ على اننا نستطيع ان نحقق

الانسان الأمثل ؟ هل نستطيع أن نعين الناحية التي يتفوق فيها هذا الانسان ، أيكون طالباً ، أو رياضياً ، أم مهندساً ، أم زعيماً سياسياً ، أم قطباً من أقطاب المال والأعمال

فما هو احتمال بلوغ الانسان هذا المدى من السيطرة على عوامل الوراثة ؟ يقول الاستاذ هلدين Haldane ان أمام علماء الحياة طريقين يسلكونهما ، لتغيير عامل واحد من عوامل الوراثة في أحد الكروموسومات من دون أن يؤثروا في العوامل الوراثية الأخرى أما الطريقة الأولى فابتداع او اكتشاف مادة كيميائية تؤثر في عامل واحد دون العوامل الأخرى . وأما الطريقة الثانية ، فاستنباط وسيلة يستطيع بها الباحث ان يوجه الأشعة التي فوق البنفسجي الى جزء صغير جداً من الكروموسوم من دون ان يتلف الخلية نفسها

ويقول الدكتور ردن أننا لا نعلم الآن كيف يجب ان تنظم عوامل الوراثة البشرية ، حتى يخرج من انتظامها الانسان الأمثل . ولكن أمامنا طريق علينا ان نسلكه وهو ان ندرس أثر تحوّل عناصر البيئة في الكائنات الحية نفسها . ولكي نحدث تغيراً في الكائنات الحية ، يجب ان نحدث تغيراً في أحوال خاصة في مراتب النمو الأولى. فلننظر الآن في ما فعله علماء الحياة في إحداث هذا التغير في الأحوال الخاصة ، وما أثره في السيطرة على أجرام الكائنات ، وشفها ، وغيرها من وظائف أعضائها

***

فقد بيّن بعض علماء الحيا ان بيض الضفادع وأجنتها ، اذا عرّضت لحرارة أعلى من الحرارة العادية التي تتعرض لها ، تحوّلت الأنات ذكوراً . وأثبت الدكتور كتي بونس أستاذة علم الحيوان التجريبي في جامعة جنيف أنها تمكنت من تحويل عدد غير يسير من ذكور الضفادع الى أنات ، ثم زوّجت هذه الأنات بذكور سوية ، فحملت وولدت . والظاهر من محاضرة لها أنها أزالت أولاً الغدد الجنسية من الذكور البالغين فنشأ عن ذلك نموّ عضو خاص في الضفدع ، وبعد فحصه ، ثبت أنهُ يحتوي على بيوض جاهزة للتلقيح . ولم تفر الذكور من هذه الأنات ان أقبلت عليها . وعلى يعتقد ان فعل الأنات المحولة عن ذكور ، كان كلهُ ذكورياً . ثم ان الدكتور دُمْ Dumm الأستاذ بجامعة شيكاغو تمكن من تحويل بعض ذكور الطيور أناثاً وبعض الأنات ذكوراً ، فانهُ أزال البيض الأيسر من ١٧٥ من أنات الصغير وهو الفيض الوحيد فيها ، لأن البيض الأيمن يضمر ويزول . فما أزال البيض الأيسر اشتدَّ البيض الأيمن ولكنهُ تحوّل خصيةً بدلاً من أن ينمو مبيضاً . ثم ان هذا البيض الذي اصبح غدة تناسلية ثنوية ، تحول بعد ازالة البيض الأيسر الى غدة جنسية ذكرية . وقد أفرزت هذه الغدد نطفاً للقاح . ومن الأمور المشهورة ان عقاب جنس الحيوان بعد فقد غدته يقع في

الطبيعة من دون وساطة الانسان فالحيوان المعروف بالسندل الذكر اذا جاع أشهراً متوالية، صمرت غدته الجنسية فاذا وجد طعاماً بعد ذلك عادت الى النمو ولكنها تنقلب غدة انثوية. والدجاج يفعل له ما هو شبيه بذلك اذا أصيب بالتدرن

ومن غرائب ما يذكر في هذا الصدد ان الصفات التناسلية في فتاة تحوَّلت من صفات انثوية الى صفات ذكرية على أثر ظهور خراج جعل مفرزات غددها الصم أكثر مما هي عادةً. وكان الدكتور آبل العلامة الأميركي وأحد أساتذة جامعة جونز هكنز بالجها فشهد بأن جميع صفاتها الجنسية الثانوية الجسمية والنفسية كانت صفات ذكور. وقد عادت الى أنوثتها على أثر عملية استؤصل فيها الخراج وارتدَّت الغدد الى حالتها السوية

***

من الحيوانات التي تجرب بها هذه التجارب حيوان السندل وهو في موطنه الأصلي حيوان مائي يتنفس بخياشيم وينصف في خلال أدوار حياته جميعها بصفات الحيوانات البحرية ولكنه اذا نقل الى مواطن أخرى معينة. أو اذا قضي عليه في دور معين من نموه أن يعيش في الهواء او اذا غذي بقطعة من نسيج الغدة الدرقية، تحوَّل الحيوان المائي الى حيوان بري. ثم اذا غذي بقطعة من الفص الخلفي في الغدة النخامية ضخمت جثته حتى يصبح جرمها ضعف جرمها الأصلي اذ يقتصر في غذائه على طعامه المألوف. وقد وصل الباحثون الى النتيجة نفسها في الجرذان اذ حقنت بخلاصة الغدة النخامية

***

ويستطيع الباحث العلمي ان يربي سمكة ذات عين واحدة مع انها في الطبيعة ذات عينين باضافة أحد المخدرات أو أحد أملاح الفنيزيوم الى الماء الذي يتنفس فيه بيض السمك. بل يستطيع الانسان ان يتدخل في دور معين من أدوار حياة دودة ما فيبدلان ويغيران أحوال البيئة بقدر أي طرف من طرفي الدودة يكون رأسها وأي طرف يكون ذنبها. ولا تقل تحاثيم في تغيير ألوان الحيوانات عما تقدم. فالدجاج الأبيض الريش يتحوَّل الى دجاج أسود الريش

من المتعذر الآن تطبيق هذه الحقائق على النوع الانساني ولا سيما فيما يرتبط بالتناسل لأن تجربة التحاويل التناسلية بالانسان أمر تعافه نفوسنا ونكل اذا تقدم البحث في الوسائل الأخرى القائمة على احداث تغيير في الكائن الحي بتغيير أحوال بيئته في أدوار معينة من نموه وبوجه خاص فيما يتعلق بالغدد الصم فلا يبعد ان يصبح علماء الأحياء فعلاً من عوامل الطبيعة في انشاء الانسان على أعلى مثال يتصورونه

المدرسة الالزامية

وتأثيرها وعمومتها بغيرها
وتنظيم هذه الملاءة على أساس جديد

نصير الله امين

المدرسة الالزامية مدرسة الطفل تستقبله إذا بلغ السنة السابعة من عمره ، وهو رطب العود ، غض الاهاب ، ناعم الأظفار ، فتتولى تربيته بما تملك من وسائل ناقمة وضارة ، ولا تزال تؤثر فيه بهذه وتلك حتى يجتاز طورها ، ويبلغ السنة الثانية عشرة من عمره فينتهي منها وقد طبعته بطابعها وصبغته بصبغتها وقدّته على مثالها ، جسماً ونفساً وعقلاً فيلازمه طابعها ما دام حيّاً

وهي المرحلة الأولى والأخيرة ، لتربية الملايين من أبناء الشعب ، الذكور والاناث الذين يحصلون منها دون غيرها ، كل ما يحتاجون اليه في حياتهم ، من معارف وآداب وتدريب للاعضاء والحواس على الأعمال وايقاظ للمواهب والملكات العقلية والنفسية الكامنة فيهم وتنمية ، ويخرجون منها الى معترك الحياة ، وليس لهم الا ما غرسته فيهم ، فان كان خيراً جنوا خيراً وان كان شراً جنوا شراً

وهي مع ذلك رياض الأطفال بجانبها ، لا تزال أعظم الطرق الى مراحل التعليم الأخرى لأن كثيراً من تلاميذها ينتقلون منها ، الى التعليم الابتدائي فالثانوي فالجامعي ، ويستأثرون بذلك لتولي السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية ، والشؤون السياسية والاقتصادية والتعليمية وغيرها . والفضل الأول في تكوينهم لمدرسة الطفولة الالزامية

وهي المدرسة القومية للامة لأنها لأخلاق الأمة وعقائدها كل الملاءمة لأن التعليم فيها مصبوغ بصبغة دينية ، وهو بغية البلاد ، ولأنها لا تخرج تلاميذها عن أنفسهم في بيئتهم حيث تكون ، الا بالقدر الذي تبيحه سُنّة النشوء والارتقاء ، ولأن مدرسيها صنو بهذا الطبع القومي ، في مدارس المعلمين الأولية وهم ينحدرون عما أنفسهم في بيئتهم الا بالقدر الذي لا بد منه للتقدم الدرسي

***

فمدرسة هذا شأنها جديرة أن تكون ، أعظم المدارس تأثيراً في تكوين أخلاق الأمة

وعقائدها ، وفي إيقاظ مشاعرها ومواهبها ، وفي تكوين الرأي العام وتوحيده ، وأن تكون هي دون غيرها من المدارس أساس النهضات العلمية والفنية والأدبية والاقتصادية والسياسية والادارية في البلاد كلها . والا فحين منها إلا القراءة والكتابة خسبها من هذا أن تكون باباً لمراحل التعليم الأخرى ، للقادرين على مواصلة التعلم لنهاية ومفتاحاً لباب المعارف العامة ، ولتكوين الرأي العام وتوحيده ، لغير القادرين على مواصلة التعلم لنهاية

فاذا قيل إن عوامل التربية ثلاثة ، وهي المنزل والمجتمع والمدرسة ، كانت المدرسة الالزامية أحق من غيرها من المدارس ، بأن تعد هي بحق أحد هذه العوامل الثلاثة ، لمزاولها السابق ذكرها

وإذ كانت هذه العوامل ، تعمل في شيء واحد هو الطفل ، ولغرض واحد هو تكوينه جسماً ونفساً وعقلاً ، تكويناً يؤهله لان يكون قوة عاملة ، ذات أثر نافع في هذه الحياة ، فقد وجب أن تتشابه الحياة في ثلاثتها تشابهاً تاماً وخير الوسائل لذلك ، أن تكون قائمة على العلم والفن الصحيحين ، وعلى الأخلاق والعقائد والآداب السامية الموحدة

غير أن الحياتين المنزلية والاجتماعية قائمتان في البلاد المصرية ، على كثير من الاخطاء والسيئات ، فينشأ أطفالنا نشأة التكوّن الاول ، من اولادة حتى تمام السنة السابعة ، وهي سن التعليم الالزامي في أحيان هذه الاخطاء والسيئات ، فتضعر اجسامهم وتعتل صحتهم وتضعف نفوسهم وعقولهم ، وتموت فيهم خير المواهب والملكات النفسية والعقلية . فاذا دخلوا المدرسة الالزامية بعد ذلك ، كان عملها فيهم هدماً للاخطاء والسيئات ، وبناء للحقائق والحسنات . والهدم عندنا أصعب من البناء ومع هذا لا ينفك المنزل والمجتمع يهدمان بعض ما تبني المدرسة من طيبات . فالأمل كله في تكوين الطفل معقود بالمدرسة الالزامية وحدها

لكننا إذا فحصنا عن المدرسة الالزامية ، ألفيناها فقيرة الى الاصلاح كل الفقر . فلا بدّ من إصلاحها هي فنستطيع أن نمضي بهذا العبء الفادح الملقى على عاتقها ، غير أن إصلاحها ليس من الأمور الهيّنة . لأن النظام المدرسي عنصر من عناصر الحضارة ، وحضارة كل أمة وليدة أخلاقها وعقائدها ، وكل ما كان وليد الأخلاق والعقائد ، كان تغييره عسيراً بتغييرها ، وهي لا تتغير الا ببطء شديد ، أو بعوامل شديدة التأثير كالأزمات الحربية والسياسية والاقتصادية والثورات الفكرية وغيرها

ولذلك نجدنا نشعر منذ سنين شعوراً صادقاً ، بأن مدارسنا المصرية أصبحت غير صالحة لحل مشكلات الحياة المصرية الجديدة ، ومسايرة روح العصر الحاضر بعد أن زجت البلاد رغم أنفها في ميدان المدنية الحديثة ، واستعارت بسرعة البرق مظاهر هذه المدنية الكاذبة ، دون عناصرها . وهذا الشعور وتحاول إصلاح المدرسة المصرية ، تغييرها في سبيل الاصلاح

سيراً سريعاً طويلاً مضنياً ، غير أننا لا نتجاوز بسيرنا محيط دائرة ضيقة ، هي دائرة المدرسة القديمة القائمة على العلم وحده ، مدرسة أئمة العلم والأدب والنفس أمثال ابن رشد وابن الهيثم والخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه ، والجاحظ وبشري ، وأفلاطون وداروين ونيوتن وشكسبير ، وغيرهم ممن قضوا أعمارهم نُهُرها وليلها ، في دراسة العلم وتدوينه وتدريسه ثم لا نلبث أن نشعر بالاخفاق في الاصلاح ، لأنهُ قائم على غير أساس ، وكل بناء يقوم بلا أساس لاشك منهار

ولكن ذلك الاخفاق في إصلاح المدرسة المصرية ، لا ينبغي له أن يصدنا عن محاولة إصلاح المدرسة الالزامية ، فيجب أن يكون هذا الاصلاح الشغل الشاغل للمصلحين لا يكتون عنهُ ولا يقنطون منهُ وان أخفقوا فيهِ غير مرة ، فلا شيء أضمن للنجاح من تجارب الاخفاق وصدماته ، ومن المثابرة والجد والصبر وعدم اليأس . ولولا هذه الخلال لما ظفرت المدنية الحديثة بهذا التقدم المتفقع النظير ، وبما فيهِ من معجزات العلم والصناعة . ولعلَّ الفورة الحربية والفكرية العالمية الحاضرة تكون خير باعث لنا على الاصلاح المدرسي الذي هو أساس كل إصلاح يخلق من فوضانا نظاماً محكماً ثابتاً ومن ضعفنا قوة

* * *

ولا يمكن أن يكون الاصلاح مثمراً بالغاً بنا الغاية المرجوة منهُ الاَّ إذا وضعنا لهذه المدارس سياسة محكمة ثابتة وهذه السياسة المحكمة الثابتة لا يمكن أن توضع الاَّ إذا عينت الاغراض الخاصة لهذه المدارس تعييناً واضحاً وحُدِّدت حداً دقيقاً

وإذا لم يكن في مقدور ضيف مثلي أن يضع منفرداً أغراضاً لهذه المدارس فاني أستطيع أن أضع مثلاً لما كنت وضعتهُ من قبل في كلمة لي

فالأغراض الخاصة لهذه المدارس الالزامية نحو

(١) تدريب حواس الأحداث ومداركهم على ادراك الحقائق ادراكاً صحيحاً وتنميتها وتقويتها ، وتدريب ألسنتهم على التعبير عما في نفوسهم تعبيراً صحيحاً

(٢) تعليمهم القراءة والكتابة والحساب ، ومقداراً ملائماً من اللغة ومن الحقائق الأولية المحيطة بهم التي تلائم أسنانهم وبيئتهم وميولهم وتنمو على تجاربهم الذاتية

(٣) تدريب أجسامهم وخاصة أيديهم على الحركة والعمل وتنميتها وتقويتها

(٤) تأهيلهم لدخول معترك الحياة ، أو مدارس خاصة صناعية وزراعية ، والمدارس الثانوية

هذا الى الأغراض العامة التي تشارك فيها المدرسة الالزامية غيرها من المدارس مثل : — [illegible] غرس الفضائل الدينية ، والأخلاق [illegible] والعادات والآداب القومية الحميدة

في نفوس التلاميذ (١٢) تدريبهم على المعيشة المنزلية المنظمة ، وعلى الاندماج في الجماعة اندماجاً يعود عليهم وعلى الجماعة بالخير (٣) تنشئتهم على حب الوطن والمواطنين ، وبث الروح القومية وروح التعاون في نفوسهم (٤) تدريبهم على مشاركتهم مواطنيهم في الشعور والرأي العام وغير ذلك من الأغراض

أما الوسائل أو السياسة المفضية الى هذه الأغراض فهي تتجلى في (١) وسائل اعداد المعلم (٢) مناهج الدراسة (٣) خطط الدراسة (٤) الحياة المدرسية (٥) نظم الامتحان

ولأجل أن تحقق هذه السياسة الأغراض المدرسية السابقة ونحوها يجب أن يراعى فيها — (١) ان تمثل الحياة المدرسية الحياة المنزلية أحسن تمثيل بأن تقوم على خير ما تقوم عليه هذه الحياة من الحب والاخلاص والوفاء والصداقة ، والامتزاج والتعاون التامين ومن التدريب على الآداب والعادات المنزلية الحميدة (٢) وان تمثل الحياة الاجتماعية كذلك بأن تقوم الحياة المدرسية على تعرف الأطفال الحقائق المحيطة بهم بمشاهداتهم ومساعداتهم وتجاربهم الذاتية، لا على الكتب والكراسات وحدها ، وعلى تدريب أعضائهم على الأعمال الجسدية واليدوية تدريباً يكسبهم المهارة واللمسة وعلى اللهو البريء الذي لا بد منه لحياة الانسان (٣) وان يكون المدرس وسيلة أدق تربية ، مطبوعاً بالطابع الذي نريد ان نطبع به التلاميذ ، قديراً على معاشرتهم ومشاركتهم والامتزاج التام بهم (٤) وان تكون هذه السياسة حلقة من سلسلة التعليم كلها (٥) وان يكون الامتحان لأمثال هؤلاء قائماً على اختبار القوى والمدارك العقلية كلها لا على الحافظة وحدها

وبيان الأغراض التعليم الالزاميّ والوسائل أو السياسة المفضية اليها ، ذكرها الأول في قانون التعليم الأولي رقم ٤٦ لسنة ١٩٣٣ م ، وفي خطته الدراسية وفي منهجه الدراسيّ الصادرين بقرار وزاريّ رقم ٤٧٤ في ١٩ من يونيو سنة ١٩٣٧ م

في المادة الحادية عشرة من هذا القانون ، يتضح الغرض المقصود من التعليم الالزاميّ ، وإن لم يصرَّح به تصريحاً وجو نحو الأمية ، وتزويد الأحداث بطائفة من المعارف مهمة في هذه المادة مفصلة تفصيلاً في المنهج المذكور وبما بيان مجمل لمنهج الدراسة وفي المنهج نفسه تفصيل هذا الاجمال

وفي المادة الثانية عشرة من هذا القانون وهي : يتناوب البنون والبنات على الدراسة في كل فريق صباح ومساء وفي المادة الثالثة عشرة منه وهي : عدد الدروس كل أسبوع أربعة وعشرون درساً ، كل درس ٣٠ دقيقة ، في هاتين المادتين بيان مجمل لخطة الدراسة وفي الخطة نفسها بين هذا الاجمال ... بيان الحياة المدرسية جلاءً

وفي المادة السابعة عشرة منهُ ونصها : يشترط لتعيين المعلم أو المعلمة في المكاتب العامة أن يكون حاصلاً على شهادة الكفاءة للتعليم الأولي من وزارة المعارف العمومية أو حاصلاً من الازهر على شهادة العالمية أو الشهادة الثانوية للقسم الثاني : بيان جدولي لما يشترط في المعلم

فأنت ترى أن الغرض الوارد ذكره في قانون التعليم الأولي ، وهو محو الأمية وتزويد الأحداث بمعارف نظرية قليلة ، غرض تافه من شأنه أن ينشط الحافظة بعض التنشيط ثم يقضي على غيرها من قوى العقل وملكاته الفضاء المبرم ثم يهدم الجسم والخلق معاً . وقد جاءت السياسة المرسومة له وهي خطة الدراسة ومنهجها ، والنظام المدرسي وإعداد المدرس مطابقة لهذا الغرض تمام المطابقة مؤيدة له في تأثيره السيء أعظم تأييد

فأما خطة الدراسة المجملة في المادتين الثانية عشرة والثالثة عشرة من القانون فقد جعلت مدة العمل المدرسي اليومي لكل من البنين والبنات ثلاث ساعات وربع ساعة واذا طرحنا من هذه المدة مدة الراحة التي تتخلل الدروس عادة كانت مدة العمل الحقيقية ساعتين وثلث ساعة في اليوم وقد اختصت هذه المدة على قصرها بدراسة نظرية تضيق بها ذرعاً لكثرة مواد الدراسة وضيق الوقت ، وأخلت المدرسة الالزامية من أقوى دعائم التربية وهي الأعمال الجسدية واليدوية فقد قصرت التربية البدنية على حصة واحدة لكل من السنتين الأولى والثانية في صلب الجدول . أما في بقية السنوات فلا . وجعلت العمل اليدوي في المصانع والمزارع والبيوت تحت اشراف الأولياء فتعذر بهذه الخطة على المدرسة الالزامية كل التعذر أن تمثل الحياتين المنزلية والاجتماعية بل ولا احداهما ، لا بل ولا أن تقوم هي بما فرضتهُ عليها هذه الخطة من محو الأمية ونشر معارف نافعة

فقد دلت التجارب في السنين الطوال الماضي على أن هذا الوقت المدرسي وهو ساعتان وثلث ساعة أضيق من أن يتسع لتعليم القراءة والكتابة حسبُ فكيف يرجى منه أن يتسع لهما وللحساب ولبقية المواد المفروضة في منهج هذه المدارس ؟ وكيف يمكن بعد ذلك أن يتسع لما هو أعظم من ذلك من وسائل التربية والتثقيف !

لقد عجزت المدرسة الالزامية بهذا النظام عن تحقيق ما يرجى منها وهو تعليم الأحداث القراءة والكتابة وقليلاً من الحساب والمعارف العامة فيبقى المتعلم فيها سنين ثم يخرج منها كما دخل كما دلت التجربة على أن الذين يزاولون الأعمال اليدوية في المصانع والمزارع والبيوت من البنين والبنات أعداد لا تذكر من آلاف التلاميذ والتلميذات وان الذين زاولوها منهم في هذه الأمكنة تحت اشراف اوليائهم لم تأت مزاولتهم إياها بالغرض المقصود منها ، لأن تدريب الأطفال على الأعمال في المزارع والمصانع والبيوت في الأرياف يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالنظام

وعلى غير قواعد علمية وفنية ، وعلى أيدي ناس يعوزهم العلم والفن والنظام وهو قوام جميع الاعمال

فلا بدَّ لادراك الأغراض السامية التي نضرنها مثلاً لتعليم الالزامي من الرجوع إلى نظام اليوم الكامل بما يمكن من التنبه والبحث مهما يكلفنا ذلك من نفقات على أن زيادة النفقات يمكن أجتنابها كما سيأتي ، ولا بد من ألاَّ تقل ساعات العمل في هذا اليوم الكامل عن ثماني ساعات من الثامنة صباحاً إلى الرابعة مساء ، ومن أن تشتمل هذه الخطة على القراءة والكتابة والحساب وما عارف تقوم على تجارب التلاميذ ومشاهداتهم مما له صلة وثيقة بحياتهم وعلى الرسم وأعمال يدوية وألعاب للهو والتسلية وأن تكون الأعمال اليدوية في المدرسة

وأيسر الأعمال اليدوية التي يمكن القيام بها في المدرسة وأكثرها تأثيراً في التربية وأرخصها هفة ، هي صنع الورق المقوى والطين والخشب المصقول والخوص والحرير والحرز والصفيح والجلد ، واستنبات النبات وهو في اوان ، وتربية الدواجن والصناعات الزراعية ، فهذه الأعمال الصناعية والزراعية يمكن أن تعمم في المدارس الالزامية بلا كبير نفقة ولا مشقة

وأما التعليم في المادة السابعة عشرة من القانون فقد دلت دلالة واضحة على ان المقصود من اختياره هو التحول المبين فيها ، إنما هو نحو الأمية فحسب ولو بطريقة عقيمة ، إذ سوَّت بين اختياره من مدارس المعلمين الأولية ، ومن الأزهر الشريف ممن لم يعدوا الاعداد المطلوب للمدرسة الحديثة ، على أن العلم الذي أعدَّ هذه الفئة في مدارس المعلمين الاولية نفسها أبعدُ إعداداً آخر أحيط فيه بمظاهر التبجيل والوقار ، فلم يمارس في خلال هذا الاعداد عملاً من الأعمال اليدوية والجسدية اللهمَّ الاَّ ما كان من بعض تمرينات بدنية في أوقات في صلب خطة الدراسة أحياناً وخارجة عنها أحياناً أخرى وأرهق فيه بما رهق بدراسة مواد كثيرة حتم عليه أن يمتحن فيها بدرسة منها في المدة المدرسية كلها إمتحاناً واحداً في آخرها وكلها تقوم على قوة واحدة هي قوة الحفظ وحين بدأ وبين وسائل التربية الفوية ، وأساسها الاقامة الدائمة في المدرسة مع حضرات أساتذتهم والاندماج فيهم إندماج الأعضاء في الأسر ، والأخذ بأوفر نصيب من الأعمال اليدوية والجسدية التي من شأنها تنمية الأجسام وتقويمها وتدريب الأعضاء على الحنكة والمهارة وتربية خير الأخلاق في نفوس النشء كالصبر والثبات وحسن الطوية والتعاون وحب العمل والقدرة عليه والسرور به ، وتربية ملكة الملاحظة وحب الاستطلاع والتفكير والحكم ، فلا بدَّ لأعداد المعلم المطلوب لمدرسة الالزامية الحديثة من أن تجمع مدارس المعلمين الأولية في العصر كله وهي كائن في مدارس المعلمين إحداها في القاهرة والأخرى في أسيوط مثلاً ، وأن يقيم فيها الطلبة إقامة دائمة مع أساتذتهم لا يبيحون صائلاً على أن [illegible] أن يقصروا [illegible] لا تتجاوز الأربعين صافياً على أن [illegible] كثيرة

أستاذ من الاساتذة في جميع شؤونها يعاونهُ بعض الطلبة وأن تشتغل هذه الحياة المدرسية كلها بالأعمال الدراسية العلمية والجسدية والبدوية وباللهو المباح على أن تمثل هذه الأعمال في مجموعها الحياتين المنزلية والاجتماعية . وإني أفضل أن يكون معلمو التعليم الالزامي وفي المدة الاولى منهُ من الأناث لا من الذكور

وأما المنهج فهو لا يصلح بأية حالٍ لتحقيق الأغراض المقصودة من التعليم الالزامي خلوه خلوًّا تامًّا من الأعمال البدوية . ولاهمال التربية البدنية فيه اهمالاً يكاد يكون تامًّا هو الآخر ولقيام ما فيه من معارف على الدراسة النظرية وحدها ولاعتماد هذه الدراسة على قوة الحفظ وحدها اللهمَّ الاَّ ما كان من مقرر الحساب واستثنيات النبات في السنتين الأولى والثانية

وشر نقائص هذا المنهج وأضرُّها انقطاع صلته بمنهج التعليم الابتدائي ونقصه عن منهج رياض الأطفال في نواحي التربية الجسدية والخلقية فمن مضار هذا الانقطاع والنقص :—

(١) حرمان الأذكياء من تلاميذ المدارس الالزامية وعددهم لا يقل عن ٣ ٪ منهم مواصلة الدرس الى النهاية اذا هم أتموا الدراسة في المدارس الالزامية وظهرت عليهم علائم النبوغ ، وقد يكون بعضهم اذا اتيحت له الفرصة لاتمام الدراسة ممن يحيا به الأمة كلها حياة سعيدة

(٢) فقدان التجانس التام في تكوين أخلاق الأمة وعقائدها وفي تكوين الرأي العام وتوحيده لتعدد وسائل التثقيف والتهذيب للطفولة واختلافها بتعدد مدارس الأطفال واختلافها كذلك . وهذا من أخطر الأمور في حياة الأمة التي تجمعها مصالح مشتركة وحياة متحدة

(٣) قسمة أبناء الأمة الى أغنياء يتربون التربية الأولى في رياض الأطفال والمدارس الابتدائية وفقراء يتربون في المدارس الالزامية وفي هذه القسمة إذكاء لروح سيادة الأغنياء واستعباد الفقراء لامكان استمرار أبناء المدارس الابتدائية في التعلم الى النهاية ثم تولِّيهم بعد ذلك مصالح الدولة وانقطاع طريق الاتمام في وجوه أبناء المدارس الالزامية وبقاؤهم عامة وسوقة

(٤) الجور في انفاق مال الأمة اذ ينفق على أبناء المتوسطين والأغنياء في رياض الأطفال والمدارس الابتدائية ما يجب أن ينفق عليهم وعلى أبناء الفقراء في المدارس الالزامية وما يتبع ذلك من عجز هذه المدارس عن استيفائها مقوماتها من أمكنة جيدة وأثاث صالح وكتب وأدوات وغير ذلك من وسائل التربية وعن القيام بنفقات معلميها الضرورية

وخير علاج لذلك هو إدماج رياض الاطفال والمدارس الابتدائية في المدارس الالزامية وجعلها جميعاً مدرسة واحدة مدتها ست سنوات يقبل فيها الأبناء والبنات من السنة السادسة الى السنة الثانية عشرة على أن تكون الثلاث الاولى منها للبنين والبنات معاً ويدرس فيها معلمات ، والثلاث الاخيرة منها يفصل فيها البنون عن البنات ويدرس فيها معلمون في مدارس للبنين ومعلمات

يكون منهج السنوات الثلاث الأولى هو منهج رياض الأطفال القائم الآن مع تعديل طفيف وهو أن تكون دراسة الحيوان الواردة فيه عملية ، وكذلك موضوعات الصحة يؤخذ فيها الأطفال بالتدريب العملي لا بالشرح والكتابة ومنهج السنوات الثلاث الأخيرة هو منهج السنوات الثالثة والرابعة والخامسة من منهج التعليم الالزامي على أن تكون دراسة النبات والحيوان فيه عملية ، وأن تكون دراسة التاريخ كلها من أولها الى آخرها تراجم لعظماء الرجال مع بيان ما لا بد منه عما يحيط بهم في عصورهم وعلى أن يضم اليه ألعاب يدوية وجسدية بحيث يكون ثلث الوقت للدراسة النظرية الواردة في منهج المذكور وثلثاه للألعاب الجسدية واليدوية وغيرها من الألعاب للتسلية والمرح

إن في ادماج هذه المدارس الثلاث بعضها في بعض إحياء للمدرسة الالزامية بترية أبناء الفقراء والمتوسطين والأغنياء فيها فتكون موضع عناية الدولة كلها ولا يشغلها عنها رياض الأطفال والمدارس الابتدائية ولا مانع مع كونها مدارس الزامية أن يفرض فيها على أبناء القادرين نفقات مدرسية يحسن بها حال هذه المدارس

وبهذا الادماج يوفر ما ينفق على رياض الأطفال والمدارس الابتدائية وينفق على المدارس الالزامية وإني لأطمع في أكثر من ذلك إذا أمكن إدماج المدارس الابتدائية ورياض الأطفال في المدارس الالزامية وجعلها مدرسة واحدة أن تتخلى وزارة المعارف عن المدارس الثانوية لأفراد وجماعات من رجالها القادرين على أن تعاونها بالمال وبالاشراف عليها كما تخلت عن المدارس العالية للجامعة فؤاد الأول فتحقق بذلك غرضين عظيمين أحدهما قتح باب التنافس والاستقلال أمام المدارس الثانوية لبلوغ أسمى درجات التقدم والآخر أن تتفرغ هي بعد ذلك لنوع واحد من التعليم هو التعليم الالزامي القومي وحده وأن تنفق فيه وعليه كل جهودها وأموالها وتتفنن كل الاتقان في ترقيته وتثبيت أقدامه واعلاء شأنه

أما اللغة الأجنبية وهي العامل الوحيد في بقاء المدارس الابتدائية بجانب المدارس الالزامية فلا ضرورة مطلقاً لتعليم الأولاد هذه اللغة في هذه السن من السادسة الى الثانية عشرة بل في تعليمها في هذه السن مضار كثيرة فيجب ارجاء تعليمها الى المدارس الثانوية التي تكون مرحلة ثانية لمرحلة التعليم الالزامي والكلام في تعليم اللغة الأجنبية طويل يضيق به هذا المقام

وأما الامتحان فهو قائم في بلادنا منذ قيامه في العهد الأخير على أتم ما يقوم عليه الامتحان وهو اختيار لحافظة وحدها ولذلك لا يعني الممتحنون بدروسهم لأن قبيل الامتحان وبعده من شأنه اماتة المواهب والملكات العقلية فيجب ابعاد هذا النظام عن المدرسة الالزامية ابعاداً تاماً حتى لا يكون الاختبار في هذه المدارس اختباراً لمدى ثقافة والقوى كلها ويجب الالزام

طمسن والكهيرب

بدء الانقلاب في علم الطبيعة الحديث
ومنشىء علماء كمبردج لبحث الذرة

لولا الاتفاق لما علمنا ان اسم جوزف طمسن مكتشف الكهيرب قد قضى قرنا لأن اباه التدمير نعطي على ذكر أحد البناة ، ذكر رجل كان أميراً من امراء البحث العلمي الحديث في الذرة . فهو الذي أثبت وجود الكهيرب ، وان الذرة ليس كما قال ديموقريطس ودلتن غير قابلة التجزئة . وأنجب تحت اشرافه وارشاده طائفة من أعظم علماء الطبيعة في هذا العصر وفي طليعتهم رذرفورد وقد سبقهُ الى عالم الخلود ويلكن الاميركي وولس (C. T. R.) ومجلهُ وليم طمسن وغيرهم

ولو اراد الكاتب ان يلخص سيرة طمسن لكفاهُ ان يقول : « كشف الكهيرب ودرَّب هؤلاء العلماء » ولأوعى في قوله نصف الانقلاب العظيم في علم الطبيعة الحديث

في سنة ١٨٩٧ ، اذ كان الاستاذ كوري وزوجتهُ ، ماضين في تنقيبهما عن عنصر الراديوم ، حلَّ أحد أساطين البحث الطبيعي الحديث ، مشكلة معقدة تتعلق ببناء المادة الأساسي . أو على الأقل شقَّ طريقاً جديداً قد يفضي الى الحل النهائي . وهذا السيد هو جون جوزف طمسن

ولد طمسن (J. J.) قرب منشستر سنة ١٨٥٦ وكان في بدئه اولاً ان يصبح مهندساً ولكن هذا الامير بين العلماء ، أقبل على البحث العلمي المجرَّد ، لانهُ لم يفلح في بعض الموضوعات التي تقتضيها الشهادة الهندسية . فحضر كلية اوون بمنشستر ، وكانت قد خصصت فيها جائزة للبحث العلمي في أحد موضوعات الكيمياء ، لذكرى جون « دلتن » صاحب المذهب الذرّي في بناء المادة . فلم يلبث أن خرج من كلية اوون الى جامعة كمبردج ، حيث أضاف اسمه الى اسمي مكتشفي الذرات والجزيئات أي دلتن وأفوجادرو ، وذلك باكتشاف الكهيرب (الالكترون)

في جامعة كمبردج ، كان لورد « رالية » مديراً لمعهد كافندش العلمي . وقد كان رالية خلفاً لذلك العالم الطبيعي الرياضي العظيم — جيمز كلارك مكسول — في منصب استاذ علم الطبيعة التجريبي . ولكنهُ لم يتقلد هذا المنصب الا بعد ان قضى في هذا المنصب ثلاثة عشر عاماً على الاستقالة (١٨٨٤) . فطلب اليهِ ان يرشح اسم من يخلفهُ في هذا المنصب العلمي الخطير . فأشار من دون أقل تردد الى الشاب

الذكي الأعمى ، جون جوزف طمسن فأحدث انقلاباً عظيماً في دوائر العلم ، اذ كتب يخطب في الثامنة والعشرين ، عالِمٌ مثل مكسون ورايه العظيمين ؟

كانت دلائل الأهلية قد بدت في مباحثه ، وكان قد نال احدى الجوائز العلمية في الجامعة وهو في الخامسة والعشرين ، على رسالة بثَّ فيها مواضع الضعف في المذهب القائل بأن الذرات المادية ، هي دوامات في الاثير . ولا ريب في أن هذه الرسالة نالت اعجاب العلماء بدقتها وقوة حجتها ، ولكنهُ كان حديث العهد بالصنعة التجريبية . فكيف يشرف على أعظم معهد للصنعة التجريبية في العالم ، وهو من لم يمارسها ويقتلها تجربة ومراناً ؟ واجتمع المجلس الذي عهد اليه بانتخاب الاستاذ الجديد — وكان مؤلفاً من لورد كلفن واللورد رايلي ستوكس والاستاذ جورج داروين — فتداولوا ، ووقع اختيارهم بالاجماع على الفتى القادم من مانشستر . فما أعلنت نتيجة الانتخاب حتى قال أحد كبار الأساتذة متهكماً : « هذه ظلال كلارك مكسون ! لا بد ان تكون الأمور على غير ما يرام في جامعة نيوتن إذ يصبح الصبيان فيها أساتذة ! »

وكذلك أصبح الفتى في الثامنة والعشرين ان يشغل منصباً حلَّ فيه فيلهُ عالمان من اكبر أعلام الطبيعة الحديثة . ولكن معمل كافندش أصبح برمته ، زعيم المعاهد العلمية في العالم في البحث عن أسرار الطبيعة ولاسيما طبيعة الذرة ، ومحاولة الغوص الى خفاياها . هل كانت تخلق عقول الباحثين الى ذرى لا تسامى . وفي « قدس » هذا الهيكل العلمي ظلت روح الفتى طمسن ترفرف مسيطرة على معاونيه وخلفائه ، أكثر من نصف قرن

***

رأى طمسن ببصيرته النافذة ان في الكهربة مفتاح أسرار الكون . فاتخذها مبدأ لبحثه . وكان قبل دخوله جامعة كمبردج قد تمم على أنبوب زجاجي استنبطهُ رجل كهربي آخر يدعى وليم كروكس . وكان كروكس يأخذ أنبوبهُ هذا ، ويفرغ منهُ الهواء على قدر ما يستطيع ، ثم يركِّب جزيئات قابلة فيه ثم يحكمهُ ختماً محكماً ثم يمرُّ فيه تياراً كهربائياً فيشاهد تألقاً بيِّناً عند القطب — القطب السالب — . فكيف يعلل هذا الضوء الغريب ؟ ان الجزيئات القابلة في هذا الأنبوب يتبعث منها ضوء متى دخلت زجاج الجدران يتألق بضوء أخضر مصفر

ولكن هل هذا ضوء ؟ فالضوء كما أجمع رجال العلم في ذلك الحين ، كان شيئاً غير مادي وهذه الأشعة المنطلقة تجمع الخبث قطعة من المنجنيس الكهربي الذي يتبعث من الأنبوب . فدهش كروكس وتحيَّر . ضوء ولكنهُ في وقت نفسه مادة لا شيء أبين . فكيف يوفق بين هذين المتناقضين ؟

[illegible] كروكس اسماً لا أن هذه الأشعة قذائف [illegible] من جزيئات مادية [illegible]

هي غاز ولا سائل ولا جماد — وأطلق عليها اسم « المادة الشاعة » . ومع ذلك ظلت حقيقتها سراً محجوباً عن الافهام . وكان كروكس لو علم على قاب قوسين او أدنى من اكتشاف الكهرب (الالكترون) . ولكن حسبهُ انهُ فتح العلم بأداة للاكتشاف استعملها رنتجن فكشف عن الأشعة السينية وعمل طمسن بها النجب العجاب

أخذ طمسن يبني هذه الأنابيب ويفرغ منها الهواء حتى صار الهواء داخل بعضها ألطف من الهواء الذي نتنفسه بعشرين الف ضعف . وكان معهُ سبعة طلاّب في معمل كاتدش فدعى أحدهم ليساعده في امرار الكهربائية في الأنابيب فأمرّ تيارات عالية الضغط وجعلا يراقبان الألمة الناهية البادية في الغرفة المعتمة

ثم جعل طمسن يتأمل في انحناء هذه الأشعة بفعل المغنطيس . فانهُ اذا أدنى مغنطيساً من الأنبوب الذي تنطلق فيه هذه الأشعة ، انحرفت الأشعة نحو المغنطيس كما تنحرف برادة الحديد. ثم غيّر أحوال تجاربهِ العديدة فاستعمل أنابيب على درجات متفاوتة من الافراغ ، واستعمل مواد مختلفة في القطب السالب ، وتيارات متباينة القوة من الكهربية . وانقضت سنون وهو يغير أحوال التجارب ويدوّن مشاهداته

وفي سنة ١٨٩٠ تزوج وسنة ١٨٩٤ انتخب رئيساً للجمعية الفلسفية في كمبردج ثم دعي الى جامعة برنستن الأميركية فحاضر فيها في موضوع (التيارات الكهربائية في الغازات) وكان في أثناء ذلك كلهِ يشيء نظرية جديدة ، لم يزلها مزلة الاعتقاد ، لان النظرية عندهُ انما كانت خطة لعمل دليلاً هادياً للبحث

***

كان بحث فراداي في « الحث الكهربائي » قد حمله على الاشتباه في وجود ذرّات من الكهربائية . وكان هلمهلتز قد تجرّأ سنة ١٨٨١ وصرّح أمام الجمعية الملكية « بأن الكهربية مجزأة الى قطع أوبية تتصرف كأنها ذرات كهربية » وفي تلك السنة نفسها ، كان طمسن — وهو في الخامسة والعشرين — قد وزن كتلة كهربية من لبنّ عود قبل كهربتها وبعدها ليعلم هل للكهربائية وزنٌ . ثم امتحن شحنة كهربائية متحركة فوصل الى النتيجة الآتية : ان للشحنة الكهربائية ، قصوراً ذاتيًّا وهذه صفة من صفات المادة

وعاد طمسن الى كمبردج من أميركا ورقي مساعداً . ثم في مساء ٣٠ ابريل سنة ١٨٩٧ أعلن امام الجمعية الملكية النتيجة الفاصلة التي بيّن في تاريخ العلم . حديث دوقال ان أشعة المهبط هي دقائق من الكهربية السالبة . فأبكر بذلك ان الذرة هي نهاية ما تجزأ

اية مادة . وقد كانت الذرة ، منذ ثبت دلتن وجودها سنة ١٨٠٠ تحسب الدقيقة الأساسية التي تبنى منها المادة . بل جميع اشكال المادة في الكون . ولكن ها هو ذا طمس يفند هذا الاعتقاد . وكان روبرت بويل ، الكيميائي البريطاني العظيم قد قال إن العناصر هي « حدود التحليل الكيميائي » « وان حلها بطريقة نعرفها متعذر » . ثم أضاف الى ذلك « ولكن قد توجد طريقة تبلغ من القوة والطيفة ما يمكننا من حلها الى دقائق أصغر وأبسط منها » . ولا ريب في ان بويل لم يتصور قط علم الطبيعة الجديد ولا علم الكيمياء الجديد . ولكن طمس تصورهما وكان من بُناتهما . فانه كان شديد الثقة ببساطة الطبيعة فقال لا بد ان يوجد شيء أبسط من ٩٢ ذرة مختلفة من ذرات المادة ، يميز احدها عن الأخرى . وهذا الشيء — الذي تتألف منهُ أشعة المهبط — دعاه الالكترون ا الكهرب)

هذه الكهربات ، كانت قبل اطلاقها جزءاً من الذرات التي انطلقت منها ، وهي متشابهة مهما تختلف المصادر التي تنطلق منها . وهي ذرات من الكهربة السالبة ، ولها وزن ، وهي تنطلق بسرعة ١٦٠ الف ميل في الثانية ، وكل عنصر من العناصر الاثنين والتسعين مبنيٌّ منها

هذا ملخص الحقائق التي عُلمت عن طمس للعالم . فهل يصدقهُ العلماء الذين يحترمون قولهم؟ لم يكن طمس مشهوداً ، بل كان غرضهُ الحقيقة كما كانت غرض المرتابين المترددين . لذلك آلى على نفسه ، أن يثبت صحة وجود الكهرب ، بوزن كتلته . لا نعرف رجلاً أخذ على عاتقهِ عملاً أصعب من هذا العمل ، ولا يُعلم عن رجل ، غير متصف بلباقة طمس وألمعيته وخياله كان يستطيع أن يصيب النجاح

* * *

قلنا ان هذه الأشعة المنطلقة في انبوب من أنابيب كروكس ، تنحرف اذا أدنيت قضيب مغنطيس الى الانبوب ، فقاس طمس مدى هذا الانحراف ، وقوة المغناطيس . وفي تيه من الأرقام والمعادلات والاحصاءات ، وصل الى رقم قال انهُ النسبة الثابتة بين الشحنة الكهربائية على الكهرب وكتلته ، ثم قال ان وزن الكهرب أقلُّ نحو ألفي ضعف من وزن ذرة الايدروجين وهو أخف العناصر على ما نعلم . اي ان كتلة الكهرب جزء من نحو ألفي جزء من كتلة ذرة الايدروجين

على ان العالم لم يصدق ، رغم العجائب العلمية التي توالت في مختتم القرن التاسع عشر . فلن نرى في هوس العلماء بحبث بقائع طمس ، وحتى طمس نفسه لم يكن مقتنعاً كل الاقتناع بدقة نتائج التي وصل اليها

فدعا اليه أحد تلاميذه (C. T. R. Wilson) وكان طمسن قد شاهده وهو يجرب تجارب بجهاز استنبطه لاحصاء دقائق الماء والغبار . وكان قوام هذا الجهاز حجرة يتكثف فيها بخار الماء في أحوال معينة على تلك الدقائق فيصح تصويرها استطاعاً . فأضاف ولسن الى الحجرة جهازاً للتصوير . وقال طمسن لولسن . أتستطيع ان تصور الكهيرب ؟ أيستطيع محصي دقائق الغبار ان يلتقي اليد ولو لحظة عابرة على الكهيرب لكي يصوره ؟ إنه عمل أشبه ما يكون بالاعجاز . ولكن ليس ثمة مستحيل على تميذ والاستاذه

والواقع ان ولسن أكب على بحثه أربع عشرة سنة حتى أتمه وكان ذلك في أواخر سنة ١٩١١ وطريقته — طريقة الحجرة الغائمة — أصبحت من أهم الأساليب في بحوث الذرة . وقد فصلنا مبدأها فيما مضى في المقتطف ولا مجال الى العودة اليه الآن

وبينما كان ولسن معنيًا بتصوير الكهيرب ، كان مليكن (R. A. Millikan) في جامعة شيكاغو الأميركية منصرفاً الى استفراد كهيرب واحد ووزنه . واذا علمت انك تستطيع أن ترصف مليوني ذرة في مدى نقطة حرف الثون أدركت أن مليكن كان مقدماً على أمر يكاد يكون مستحيلاً . ولكن مليكن كان قد قرأ كل ما كتبه طمسن وتلاميذه عن تجاربهم فتولته حماسة تفوق حماسة الباحث عن كنز عظيم في انقاض هيكل قديم

وقد نجح مليكن في تجربته . وهي التجربة التي تعرف في علم الطبيعة بوصف تجربة « قطرة الزيت » واعادها مئات المرات ليستوثق من دقة نتائجها فخرج منها بأن وزن الكهيرب يبلغ جزءاً من ١٨٥٠ جزءاً من وزن ذرة الايدروجين ($\frac{1}{1850}$) وهي نتيجة تتفق مع نتيجة طمسن النظرية التقديرية اذ قال انه أي وزن الكهيرب ($\frac{1}{1000}$)

فلما سمع طمسن بهذا البحث العجيب واطلع على وصفه المفصل لم يستغرب انه استغرق ثلاث سنوات . وليس بالغريب ان يبقى الكهيرب مختفياً عن أعين الناس . فان أصغر دقيقة عادية يستطيع رؤيتها تحتوي على عشرة آلاف مليون جزيء والجزيء قوامه بضع ذرات يختلف عددها باختلاف الجزيء . ومن الجزيئات ما يحتوي على مئات او الوف الذرات كبعض جزيئات المواد البروتينية . واحسب ان قوة تفوق الكهيرب ١٨٥٠ ضعفاً في كتلتها

ما معنى هذه التجارب ؟ انها تعني ان الذرة والطاقة الكهربية شيء واحد . وهو رأي أنصاره الآن . ويمكنه ان يكون في أواخر القرن . فمن يدري ما يحدث هذا القرن رأياً ينطوي على بذور الثورة التي قد تنشأ من عدم تطبيقه رأساً على عقب وطمسن أحد قوادها المقدمين

نظام

ديوان الاستخبار في الهند

في عهد المغول

للسيد أبو النصر احمد الحسيني الهندي

إن ما يسطع به سعد الدول فيُضاعف يسارها ، ويرسو به دعائم الحكومات فيمرع جنابها ، هو قيام العدل واستتباب الأمن ، ولا أمن اذا لم يكن هناك عدل ، كما انهُ لا عدل اذا لم يستتبّ أمن ، فان الأمن نتيجة العدل وثمرته كما ان العدل بعته وأصله . ولذلك فاقامة العدل أول خطوة تخطوها الدول والحكومات لتثبيت قواعدها واطراد نعيمها وأول غاية يتوخاها الناشئ والمستعمر لرسوخ القدم في البلاد وجني ثمارها

ولكن إقامة العدل او استتباب الأمن ليس شيئاً يسيرَ المنال دانيَ المتناول يرجى هيناً ويبتغى سهلاً ، لأنهُ يتوقف على سبر غور الأمور باستخبار الحوادث واستنباء الوقائع واستطلاع أسبابها وعوارضها واستقصاء ظواهرها وبواطنها . فلذلك جرت السنة من القدم عند الدول والحكومات ان تنشيء ادارة او ديواناً خاصًّا لمعرفة أحوال البلاد

جازت تلك الادارة منذ ولادتها في التاريخ أطواراً مختلفة من التقلب والتقدم كما هو حال كل عمل انساني حتى وصلت في العصر الحاضر الى ما أفضجهُ انجاوب وخبرتهُ البصيرة وأخلص جوهره الجد وعجم عوده الفكر ، فكان في الهند مثلاً قبل ان يفتحها المسلمون ادارة واسعة النطاق وافرة الأعضاء تُسمى ديوان الاستعلامات ، ولكنها كانت بعد في دور التكون والتطور إذ كان الاعتماد في أكثر أعمالها على نقل الاخبار وسرد الروايات شفاهةً . وكان ينقسم أعضاؤها الى قسمين . المتكرين وغير المتكرين . أما القسم الأول فكان يشمل جميع الجواسيس والمخبرين المنتشرين في طول البلاد وعرضها . وكان واجبهم اعلام حكامهم بكل صغيرة وكبيرة حدثت في البلاد . وأما الثاني فكان يحتوي على جميع ممثلي الحكومة في الخارج من السفراء وكان واجبهم اخبار الحكومة بكل ما يهمها بواسطة الرسل

وحين فتح المسلمون الهند آثروا في حكمها النظام القديم، غير أنهم سدوا خلله وتفقوا أوده وقاموا فيه باصلاحات لا يستهان بها حيث أصبحت فيما بعد مصدراً للتقدم

أما استعلام الأخبار الخارجية فلم يغيروا نظامه بل أبقوه كما كان ، واعتمدوا فيه مثل أسلافهم على التقارير واليوميات الشفهية المرسل من ممثلي الحكومة في الخارج ، وللسُّيَّاح والتجار ، والحجاج ، والوفود. فدل ذلك أنّ لم يكن عندهم حينئذ للامور الخارجية شأن يذكر لأنهم كانوا في مأمن من الهجوم الخارجي لقوتهم الوافية للذود عن حوزة مملكتهم ولعلاقتهم الحسنة مع الدول والحكومات المجاورة لهم

وأما استعلام الأخبار الداخلية فأبدلوا الشفهي من نظامه بالتحريري ، وهو اصلاح ذو شأن عظيم ، اذ الشفهي يسع من القول الجزاف ، والباطل المشاع ، والظن المرجوم ما لا يسعه التحريري . أضف الى ذلك ما نجم عنه من الاصلاحات الهامة الأخرى في الادارة فانه اقتضى قبل كل شيء اختيار المخبرين والجواسيس من الطبقة المثقفة الراقية ، فأتى بالتحول في أساليب الاستعلام وأزال عنها سوء الفهم ، وروح التفوط وأدخل في روع الموظفين شعوراً قوياً للمسؤولية

على هذا النمط تقدم في عهد السلطين ديوان الاستخبار الذي أنشأه الحكام الهنود الوثنيون قبلاً ، فالمسلمون داوروا سقمه ، وتوسموا مبلغه ، وسوّوا زيفه جيداً بعد حين حتى بلغ في عهد الملك المغولي محي الدين عالمكير اورنك زيب مبلغاً من التقدم لا يعد كثيراً عن العصر الحاضر ، لذلك أصبح ركناً هاماً لنظام المملكة . ولكي نلمس خطورة شأن هذا الركن يجدر بنا ان نحيط الالمام عما كانت ادارته تنهض بأعبائه وما يتولاه أعضاؤها المختلفون من مهام

***

كانت الادارة تتكوّن من مناصب ووظائف هامة مختلفة ذوات واجبات خاصة يقوم بها أصحابها أعضاء تلك الادارة . واليك بيان أهم تلك المناصب والوظائف : —

١ — منصب «وقائع نكارة» أو «وقائع نويس» أي كاتب الوقائع . وهو منصب الشيء في كل ناحية من نواحي البلاد وكان واجب صاحبه ان يرسل كل اسبوع بياناً عن تحصيل الجباية وتدبير الأراضي ، وعن كل ما وقع في شعبه من أمور البلاد وما يتبعها (١)

٢ — منصب «سوانح نويس» أو «سوانح نگارة» أي كاتب الأخبار . وهو منصب الشيء في مراكز البلاد وقد كان ومكانة هذا المنصب في رتب الحكومة هي أن صاحبه كان يقدر

(1) [illegible]

ان يحشد عشرين عسكرياً[1] والفرق بين « وقائع نكار » و « سواغ نويس » هو ان الأول كان يقوم بواجبه غير متكر ويحتوي بياناته على الوقائع فقط . وأما الثاني فيحتوي بياناته على الوقائع والاخبار والاشاعات وغيرها . وكان يقوم بواجبه متنكراً لذلك سمي أيضاً « خفيه نويس » أي الكاتب السري . ولكن لم يبق تنكره فيما بعد حين استخدم في تدبير البريد الملكي وكان هذا المنصب تحت تصرف « داروغهٔ دانه » أي مدير البريد للعاصمة بأسرها[2]

٣ — وظيفة « هركاره » أي الجاسوس وواجب صاحبها تقديم التقارير عن أخبار منطقته الى مدير أنيسه . والمدير كان يرسلها داخل ظرف في « تلوه دانه » أي أنبوبة البريد الى « داروغهٔ هركاره » أي مدير الجواسيس في الديوان الملكي . وكان هؤلاء « هركاره » منتشرين في البلاد من أقصاها الى أقصاها وعددهم كان يربي على أربعة آلاف[3]

٤ — منصب « داروغه هركاره » أي مدير الجواسيس . وواجب صاحبه أن يتسلم من هركارهات (أي الجواسيس) جميع أصناف المعلومات عن البلاد سواء أكانت من قبيل الوقائع أم الاشاعات أم الأخبار أم غيرها ثم يقدمها الى الملك . وكان هذا المنصب في سلسلة المناصب ذا عز وجاه كبير لما كان يحوزه صاحبه من اعتماد الملك العظيم وثقته ورضائه[4]

٥ — وظيفة « ميوره » أي الساعي . « وميوره » لقب لسكان ميوات ناحية من نواحي الهند في ذلك الزمن والآن يسمى هؤلاء « ميواتي » وأطلق هذا الاسم على الساعي لأنه لم يكن يعين فيها الا هؤلاء لشهرتهم في سرعة الجري والنشاط في العمل ولقيامهم بأعمال الواجبات بسهولة[5]

٦ — منصب « داروغه دانه » أي مدير البريد . وصاحبه كان يثبت « نبورهات » أي نسبة الذين كانوا يحملون البريد من مرحلة الى مرحلة . وكذلك كان يرأس كتّاب اليوميات الرسمية والمحررين[6]

٧ — منصب « وقائع خوان » أي قارىء الوقائع . وواجب صاحبه ان يقرأ للملك التقارير المرسلة من جميع نواحي البلاد والمقاطعات . لذلك لم يكن يعين فيه إلا أكثر الرجال علماً واطلاعاً بكتابة وتحريرهم انشاءً[7]

[يتبع]

---

١ كان هذا في ذلك الزمن رتب أو درجات عسكرية وموظفين يرأس كل منهم عدداً معيناً من الجند . راجع تاريخ مرآت أحمدي بمجلة ...

٣ راجع ... من مرآت أحمدي ... (٤) راجع ... ٢٥٢ ... مجلة ... (٧) أيضاً

البستاني

للشاعر الفيلسوف طاغور

— ٢٥ —

— « تعال إلينا — أيها الشاب — وخبّرنا : لماذا تبدو سمات الحيرة في نظراتك ؟ »

— « لست أدري أي خمر من عصير الخشخاش المنثور شربتُ ؛ هذا هو ما نقش سمات الحيرة في نظراتي »

— « آه ، يا للعار ! »

— « نعم ، إن في بعض النظرات حكمة وفي البعض غباء . في بعضها اليقظة وفي البعض الأحلام . وهنا أعين تبسم وهناك عيون تذرف الدمع ... غير أن سمات الحيرة تبدو في نظراتي »

* * *

— « لماذا تقف أيها الشاب — صامتاً في فِناء شجرة ؟ »

— « لقد تعثّرت قدماي من أثر القيد الذي يثوه بقلبي ، فوقفت صامتاً في فنائي »

— « آه يا للعار »

— « نعم ، إن بعض الأقدام تنطلق على سجيتها والبعض يتمهل ، إن بعضاً يستمتع بالحرية والبعض يستشعر ثقل القيد ... أما قدماي فقد تعثرتا من أثر الثقل الذي يثوه بقلبي »

— ٢٦ —

— « إن ما تجود به يداك في رضا سأتقبله ثم لا أسأل غيره »

— « نعم ، إني أعرفك أيها السائل الرفيق ، وأنت تطلب كل ما أملك »

* * *

— « وإذا أذنت قطفتُ زهرة من زهرتك فسأضعها في ثنايا قلبي »

— « وإذا كانت حسكة ؟ »

— « إذن أحملها في صبر »

— « نعم . نعم إني أعرفك أيها السائل الرفيق . فأنت تطلب كل ما أملك »

* * *

— « لبثت زمنين إلى وجهي نظراتك الحبيبة مرة واحدة . إذن تفنى في حياتي السعادة الأبدية

— « وإذا كانت خدعات قاسية ؟ »

— « إذن أدعها تخز قلبي »

« نعم . نعم . إني أعرفك أيها السائل الرفيق ، فأنت تطلب كل ما أملك »

— ٢٧ —

— « آمن بالهوى المحض ولو أورث الأسى ، ولا يضيق قلبك دوني »

— « آه . لا يا صديقي ، ان كلماتك غامضة لا أستطيع فهمها »

* * *

— « يا من أحب ، إن القلب صُنع ليتشبع من عبرة وأخرى في وقت معاً »

— « آه لا يا صديقي إن كلماتك غامضة لا استطيع فهمها »

* * *

— « إن اللذة واهية كنسمة فطرة ندى تنعم وهي تموت ، اما الحزن فهو شديد معمّر . فاجعل الهوى الحزين يسعر في الظريك »

— « آه . لا يا صديقي إن كلماتك غامضة لا استطيع فهمها »

* * *

— « ان زهرة اللوتس تزدهر تحت نظرات الشمس ثم تفقد كل ما أصابت إنها لن تظل إلى الأبد في كبدها في ضباب الشتاء السرمدي »

— « آه لا يا صديقي ان كلماتك غامضة لا استطيع فهمها »

— ٢٨ —

إن في نظراتك المستوضحة أسى . ثم تحاول أن تكشف عن معنى قلبي كما يلتمس الغمر أن ينفذ إلى أعماق البحر

لقد قضيت أيام حياتي جميعاً أنعم بنظريك في غير حياء ولا موارية . وهذا فأنت تجهليني

بينما كانت دُرّة فأحطتها ثم أفلتها عقداً أزين به جيدك
بينما كانت زهرة صغيرة مستديرة جذّابة فأقطفها لأحلي بها شعرك
ولكنهُ قلبي — يا من أحب — فأين شاطئاه وأين غوره؟
إنك لا تستطيعين أن تجدي حدود هذه المملكة حتى حين قد جلست أنت على عرشها
بينما كانت لحظة من لحظات اللذة تتفتح عن بسمة سهلة تستطيعين أنتِ — في لحظة — أن تنثري إثرها وتستشفّي ما بين سطورها
بينما كانت من خلاص الأبد تتذوب في عبرات رقراقة، ينعكس عليها السر العظيم في غير حديث
ولكنه هو الهوى، يا من أحب
إن لقادته وآلامه لا نهائية، وإن رجاءاته ومخاوفه لا عمر لها
وهو قريب منك كحياتك، ولكنك لن تحيطي به علماً

— ٢٩ —

تحدّثي اليّ — يا مَنْ أحب — وخبّريني، في كلام، عن أغانيك
لقد أغطش الليل، وتسربلت النجومُ السحب. وراحت الرياح تتنهد خلال أوراق الشجر
عن أصفف شعري، وسأتلفع بعباءتي الزرقاء، وهي كأنها الليل، ثم أضم رأسك الى صدري، وهناك في الخلوة الحبيبة الى نفسي أغمس في قلبك، وأغمض عينيّ في سكون ثم لا أحدّق في وجهك
وحين تنتهي كآبتك، نجلس معاً في هدوء وصمت، والأشجار من حولنا تهمس في اتساق
بينهزم الليل وتنفس الصبح
ويحدّق كل منا في عيني رفيقه ثم ينطلق الى عمله
فتحدّثي اليّ — يا من أحب — وخبّريني، في كلام، عن أغانيك

— ٣٠ —

أنت سجينة بسماء التي تسبح في سمائه أحلامي

اني أصوّرك وأشكالك كما يحلو لرغبات هواي
فأنت لي ، لي يا من تعيشين في أحلامي الخالدة !

* * *

إن قدميك في احمرار الورد من أثر تجيج رغبات قلبي ، يا من تحصدين أغانيّ عند الغروب !
إن شفتيك فيهما الحلاوة اللذاذة ، وهما في مذاق خمر آلامي
فأنت لي ، لي يا من تعيشين في أحلامي الخالدة !

* * *

أفمنعتُ الدمع في عينيك حينَ مددت ظلال حبي، يا من صدت الى غور نظراتي!
تقدّ جذبتك إليّ ، يا من أحب ، ولفتك في شباك موسيقاي
فأنت لي ، لي يا من تعيشين في أحلامي الخالدة !

— ٣١ —

إن قلبي ، الطائر الهائم ، قد وجد سكناه في عينيك
فهما مهد الصباح ، وهما دولة النجوم
وإن أغانيّ تضلّ في أعماقهما
فدعيني أحلق في سمائهما . . . في فضائهما المتسق الخالي
ودعيني أخترق غمامهما لأنشر جناحي تحت أشعة شمسها

— ٣٢ —

خبّريني ، ياحبيبي ، أكلُّ هذا حق ، خبّريني أكلُّ هذا حق ؟
أنهُ حين ترسل عيناي شعاعيهما اللامع ، تنصف له سحب صدرك المكفهرة
أحق أن في شفتيّ حلاوة كما تشتكم ؟ هوى الأول ؟
أفتختلج في أطرافي ذكريات شهور مابو المنطوية
أفتتفجر الأرض ، كأنها فيثار — عن لحن موسيقي تحت لمسات ندي ؟
أحق أن عيني الليل تذرفان الدموع لندى حين تهمسان لي ، وأن نور الصباح يبدو وردياً طروباً حين يضمني اليه ؟
أحق ، أحق أن غرامك قد حرق الأحقاب والدهر يلتمس عني ؟
وأنك حين وجدتني ، وجدت رغبة القدماء الخفية في حبيبتي الغريبة
في عينيّ ، وفي شفتيّ ، وفي شعري المسند المنسدل

ثم ... أحق ان سر الأبدية مستور على هذا الجبين الصغير ... حبيبي ؟
خبرني ، ياحبيبي ، أكل هذا حق ؟

— ٣٣ —

أنا أحبك . يا حبيبي . فاغفر لي حبي
إني سأخوض كطائر ضل الطريق
حين اضطرب قلبي سقط عليه قناعه فبدا سافراً . فقلت — يا من أحب — في الأحزان ، واغفر لي حبي

* * *

وإذا لم تستطع ان تحبني — يا من أحب — فاغفر لي آلامي
ولا ترمقني شزراً من بعد
فسأتنحى الى زاوية . وأقطر على نفسي في الدجى
ثم أداري حيائي السافرة بكلتا يدي
أدر وجهك عني — يامن أحب — ثم اغفر لي آلامي

* * *

وإذا كنت تحبني — يامن أحب — فاغفر لي أفراحي
وحين ينتفض قلبي من إتريض السعادة الذي يغمره فلا تميل الى الهجران القاتل
وحين أستوي على عرشي فأحكم فيك بأمر الهوى العاني ، وحين أسبغ عليك بعض آلائي كأني آلهة ، فاصبر على كبريائي — يامن أحب — واغفر لي أفراحي

— ٣٤ —

لا تبرح — ياحبيبي — إلا أن آذن لك
لقد سهرت طول الليل أرقب . والآن أستشعر الكرى يداعب جفني
غير أني أخشى أن أفقدك حين أخلد سنة من النوم
فلا تبرح — ياحبيبي — إلا أن آذن لك

* * *

حين قمت . وراعني نشرك على عاتقي شعرك ثم سألت نفسي أهذا حق ؟
أستطيع أن أقيد قميصك بدمي وأشدها الى صدري ؟
فلا تبرح — ياحبيبي — إلا أن آذن لك

— ٣٥ —

إنك تداعبني خيفة أن أنصرف عليك في سهولة
وأنت تعطي على حبي بابتسامات متألقة توارى في عيرانك
لقد عرفت ... عرفت خداعك
فأنت لا تقول البتة ما تريد

* * *

أنت تفلت مني في أساليب شتى خشية ألاَّ أجازيك
وأنت تقف على حيد الطريق خشية أن أنفدك وسط هذا الناس
غير أني عرفتُ ... عرفت خداعك
فأنت لا تسير البتة على الطريق الذي تريد

* * *

إنك تطلب اليَّ أكثر مما ينفي سواك ، ولذلك فأنت دائماً في صمت
وفي اهمال لطيف تتجنب هدايي
غير أني عرفتُ ... عرفت خداعك
فأنت لا تأخذ البتة ما تريد

— ٣٦ —

لقد همس في أذني «يحييني ، ارفعي اليَّ عينيك»
فدفعته عني في شدة وأنا أقول «تباً!» غير أنه لم يبأ
ووقف قبالتي ، ثم أمسك بيديَّ ، فقلتُ «دعني!» غير أنه لم يبأ

* * *

وقارب بين وجهه وأدني ، فحدجته بنظرة وأنا أقول «يا لعار!» غير أنه لم يرتد
ولمست شفتاه خدي فانتصبتُ ثم قلت «لقد أثبت عظماً!» غير أنه لم يستشعر الخزي

* * *

ووضع زهرة في شعري ، فقلت «عبثاً ما تحاول!» غير أنه وقف ساكناً
ثم سلبني قلادة الزهور والعطف ، ودفعت ثمن ذلك وأسأل نفسي «لماذا لم يرجع؟»

— ٣٧ —

أتنضمين زهراتك الذابلة حول عنقي ، أيتها الحسناء؟
لكن لا بد أن تعرفي أن هذا العقد الذي رفعتِ هو الكثير ، لأولئك الذين

يبدون من خلال الومضات ، أو للذين يسكنون الأرض المجهولة ، أو لمن يعيشون في أغاني الشعراء

* * *

لقد تصرَّم زمان كنت تستطيع فيه أن تسألني قلبي ثمناً لقبلك
إن بارقة الأمل كانت حين كانت حياتي كالكم بكم عطره بين ثنايا قبلة
أما الآن فلقد انتشر هنا وهنالك
من ذا يستطيع الرقية التي تستطيع أن تلم ما انتشر منهُ وتحبسهُ مرة أخرى
ليس قلبي لي فأستطيع أن أحبوه من شاء ، فقد توزَّعهُ كثير

— ٣٨ —

ياحبيبتي ، في ذات مرة ، كان شاعرك بهيء في خياله ملحمة عظمى
يا أسفاً ، إني لم أكن حريصاً ، فاصطدمت بخلاخيلك الرنانة فاستحالت الى شيء من الأسى
وتحطمت الى قطع من الأغاني تناثرت عند قدميك
إن ما أكثر من أقاصيص الحروب الأولى قد تناوحته الأمواج الضاحكة ، وغمرتهُ البرات ، ثم طوتهُ الثلجة
فاجعلي ، يا من أحب ، من هذه الخسارة نفعاً لي
واذا كان أملي في الشهرة الخالدة بعد الموت قد تهدَّم فاجعليني أبدئها في حياتي
وإذن لن آسى على خسارتي ولن أعتب عليك

— ٣٩ —

أنا أحاول ، كل صباح ، أن أقطف كليلاً من الزهر ، غير ان الزهرات تفلت من بين يدي وتسقط
وأنت جالسة هناك ترقبيني في خفاء من خلال زاوية عينيك المتفرستين
على هاتين العينين وهما تحكان لي شركاً ... سليمى من الخطيئة

* * *

وعبثاً حاولت ان أترنم بأغنية
إن عن شفتيك ابتسامة خفية تضطرب ، فصمتي عن سبب اخفاقي

ودعي شفتيك الباسمتين تتحدثان : كيف تلاشى صوتي في السكون كما تفعل النحلة السكرى في زهرة النرجس

* * *

لقد أقبل المساء ، وآن للازهار أن تغفو

فأذني لي أن أجلس الى جنبك ، وأرسل شعتي تسللان عطرهما في السكون تحت ضوء النجوم الضئيلة

— ٤٠ —

إن ابتسامة فيها الريبة راحت ترتعش على عينيك حين أفلت أشعة ذلك في أن أبرح

لقد فعلت ذلك مراراً ليوقن خيالك بأني لا أبت أن اعود

وفي الحق لقد كان في خيالي مثل هذا الشك

إن أيام الربيع تعود حيناً بعد حين ، والبدر يتوارى ثم يرجع اخرى ، والزهور تزدهر على أغصانها فتفترُّ عن ابتسامة سنة إثر سنة ، وهكذا أنا أنطلق لأعود ثانياً

ولكني احفظ الوعد حباً بلا تدفعهُ عن نفسك في غير رفق ولا أناة

وحين أقول لك إني سأهجرك الى الأبد ثق بصدق عزيمتي ودع العبرات تترقرق ساعة في محجريك

ثم ابتسم كما يحلو لك حين أعود ثانياً

— ٤١ —

إني أهفو الى أن أتحدث إليك بأعمق الكلمات التي اكتمها في نفسي ، غير أني لا أستطيع ، خشية أن تسخر مني

هذا وأنا أغرأ من نفسي ، وأسحق سري بين طيات قلبي

ثم استرق بالاً لاي خيفة أن تسمعين أنت بها

* * *

إني أهفو الى أن احدث اليك بأصدق الكلمات التي اكتمها في نفسي ، غير أني لا أستطيع ، خشية الا تصدقيها

هذا وأنا أداريها في حديث مرور ، وأقول غير ما أريد

ثم أسخر من آلامي خيفة ان تسخر أنت منها

* * *

إني أعفو إلى أن أتحدث إليك بأغلى الكلمات التي اكتمها في نفسي ، غير أني لا أستطيع ، خشية ألاّ أجد الجزاء

لهذا فأنا أغلظ عليك ، وأراعي بقوتي التي لا تكسر

ثم أجيزك خيفة ألاّ تستشعر الألم أبداً

* * *

أني اعفو الى أن أجلس الى جانبك في صمت ، غير أني لا أستطيع ، خشية أن يفلت قلبي من بين شفتي

لهذا فأنا أهذي كثيراً وأثرثر لأطوي قلبي بين كلماتي

وأعاج آلامي في قسوة خيفة أن تعالجها أنت

* * *

إني أعفو الى أن أنأى عنك ، غير اني لا استطيع ، خشية أن يبدو لك ضعفي

لهذا فانا أصعّر خدي وأطلق اليك في غير اكتراث

وطعنات نظراتك الملتهبة تبعث الحياة دائماً في آلامي

— ٤٢ —

أيها الجنون ، أيها الشلل المقيم ،

اذا دعتك بابك لتنشر حماقتك على أعين الناس

واذا افرغت جعبتك في عمق الظلماء ، وأنت تحتقر الرزانة والعقل

واذا انطلقت على طريقتك الجميلة تعبث بالأشياء التافهة

فلا تعنّ بالنطق ولا العقل

واذا نشرت شراعك قبل العاصفة ، فلقد صدّعت السكان الى شطرين

واذن سأتبعك ، يا صاحبي ، ثم أشرب حتى أمشي ، ثم أطلق الى نهايتي

* * *

لقد ضيعت عمري في صحبة حيران فيهم الرزانة والعقل

إن كثرة العلم شيبت رأسي ، وطول التأمل مسح على ناظري

لقد نصرّمت سنوات وأنا أجمع شذرات ومقتطفات ثم أكدّسها

خطمها جميعاً ، وأرفعها عليها ، ثم ذر الرياح تلعب بها

لا بي أرى أن غاية الحكمة أن أنشي ثم انطلق الى نهايتي

* * *

دع كل الوساوس والشكوك تتكسر ، ثم دعني أصل الطريق
ثم لتأت عاصفة هوجاء تتلقى في أضعافها
إن الدنيا تعج بالسابقة والعاملين ، وبمن يعملون في دقة ومهارة
وهناك ناس برزوا في سهولة ، وآخرون تقمصوهم في رفق
فليكونوا هم في سعادة ورخاء ، أما انا فدعني أعيش عيشاً
غير أني أرى أن غاية كل رغبة أن أنشي ، ثم أنطلق الى نهايتي

* * *

إني أقسم أن أزل الآن عن كل أمنية تدفعني إلى سماء التفوق
وأن أقذف بكبرياء العلم والمنطق
وأن أسحق ذاكرتي ، وأذرف آخر قطرة من عبراتي
وأن أغسل ضحكاتي بزبد البحر لتبدو نقية لامعة
وأن أمزق شعار الأدب والعقل دفعةً واحدة
وأن أنظر الى المعهد المقدس كأنهُ شيء تافه ، ثم انشي وانطلق الى نهايتي

— ٤٣ —

لا ، يا صاحبي ، لن أكون ناسكاً وإن جهدت
لن أكون ناسكاً إلاّ ان تذر هي نفسها معي
لقد عزمت على أن لا أكون ناسكاً إلاّ أن أجد المأوى الظليل ، والصديق الذي يفاهمني آلامي

* * *

لا ، يا صاحبي ، لن أعبر داري ووطني الى عزلة في الغابة الخاوية ، إلاّ ان يرن صدى الضحكات المرحة في جنبات الظلال ، وإلاّ ان تتناوح ارياح الربيع مرطبة مزعفر ، وإلاّ أن تسري النسمات الرقيقة في أعماق صمتها
لن أكون ناسكاً

— ٤٤ —

أيها القديس المحترم ، اغفر لهذين الآثمين . إن رياح الربيع تهب اليوم زفزافة تذرو الثمار وأوراق الأشجار الذاوية ، فتتناثر معها دروسك

لا تقل ، يا سيدي ، إن الحياة حبث

لأننا هادئا الموت مرة ، وفي ساعة من زمان كنا سوياً في الخالدين

* * *

وإذا انحط علينا جيش الملك في غلظة ، فسنهز رؤوسنا في أسى ونقول : — يارفاق ، لقد ازعجتمونا . واذا كان لامعدى عن هذه الضجة فاذهبوا عنا ، ولتكن فعلتكم سلاحكم في مكان آخر ، لأننا كنا — منذ فترة — في الخالدين

وإذا أقبل الصحاب يتزاحمون حولنا فسنحني لهم رؤوسنا في أدب ونقول : إن هذا الاسراف في حسن التقدير يغيظنا . ليس في السماء اللانهائية، حيث نعيش سوية . لأن أزهار الربيع تتفتح في كثرة ، وأجنحة النحل النشيطة تتدافع في غلظة إن سماءنا الصغيرة ، التي تضمنا نحن الاثنين الخالدين ، لا تتسع لغيرنا

— ٤٥ —

سل الله أن يمهد السبيل للضيوف الذين يزحفون ثم يمشي على آثارهم

وضم الى صدرك في ابتسامة كل سهل وبسيط وقريب

إن اليوم عيد الأحياء التي لا تدري متى تموت

فاجعل في ضحكاتك صحات السرور الفارغ ، كالتبدو لمعات الضوء على أمواج البحر

ودع حياتك ترقص في خفة على حافة الزمان كأنها نقطة الندى على حافة ورقة الشجرة

وقع على أوتار قيثارك ألحاناً متقطعة

— ٤٦ —

لقد خلقتني وحيداً وانطلقت على سبيلك

إني لأخشاني آسى عليك ، فأضع رأسك وحده في قلبي موتى يلحس ذهبي

ولكن ، آه ، يا لسوء الطالع ، إن الثمر قصير

أن الشباب يتصرم سنة فسنة ، وان أيام الربيع تطير ، والزهور الواهية تذوى في غير سبب ، والفيلسوف يتذرع بأن الحياة قطرة ندى على ورقة زهرة اللوتس أفأغضي عن كل ذلك لأنطلق في إثر فتاة تنطوي عني ؟

هذا عبث وحمق ، لأن العمر قصير

* * *

ولآن تعالي، أيتها الليالي المعطرة ، في خصلات مضطربة ، وابسمي يا أيام الخريف الذهبية ، وتعالَ يا ابريل الغافل ، وانثر قبلاتك حوالينا

فتعالَ أنت ، وأنت ، وأنت أيضاً !

يا أحبائي ، أنتم تعلمون أنا ميتون ، أفيكون من الحكمة أن يتصدع قلب في سبيل فتاة تنطوي عنه قلبها ؟ على حين ان العمر قصير

* * *

إنه لجميل أن أنزوي في ناحية أتأمل وأكتب في أشعاري . إنك أنتِ دنياي

إن من البطولة أن يحمل المرء أحزانه ثم لا يقبل عزاء

غير أن وجهاً جميلاً ينظر اليَّ من خلال فرجات الباب ، ويحدّق في عيني

وأنا لا أستطيع إلاّ أن أمسح عني العبرات ، وإلاّ أن أغير نغم لحني

لأن العمر قصير

—٤٧—

إذا كنت ستفسرينها هكذا ، فأمسك عن الثناء

وإذا كانت تلفت في قلبك الاضطراب ، فأحول انظراتي عن وجهك

وإذا كانت نبت الرجفة في خطواتك على حين فجأة ، فالتفت جانباً واتخذ طريقاً آخر

وإذا كانت نبث فيك الارتباك وانت ترتبين زهورك ، فتجنب حديقتك المنعزلة

وإذا كان يهيج لقاه في شدة ، فلن أدنو زورني إلى شاطئك

— ٤٨ —

دعني أتحلل من قيود خطيئتي . يا من أحب ، ولا تسكريني بخمرة قبلاتك

إن هذا الدخان الذي ينبعث من البخور النفّاذ يخنق قلبي

اذهبي الآن بنور النهار

لقد ضلت فيك حين لفني في ثنايا ظرفك
فكّني من سحرك ، وردّي الي حريتي لأقدم لك قلبي الطليق

— ٤٩ —

لقد أمسكت يديها ووضعتهما على صدري
وحاولت أن أملأ ذراعيّ من جمالها ، وأن أنهب بسماتها الحلوة بعيلاني ، وأن أشفي هيمان عينيّ من نضراتها العميقة
آه ، ولكن أين هي ؟ من ذا يستطيع أن يجذب زرقة السماء ؟
لقد أردتُ أن أضم الجمال ، فأفلت مني ، ليذر بين يديّ الجسم وحده
فرجعت أستشعر خيبة الأمل وانضا معاً
كيف يبغي الجسم أن يبس زهرة لا يبغي الا الروح أن تشمها ؟

— ٥٠ —

يا من أحب ، إن قلبي يحنّ ، ليل نهار ، الى لقياك ... الفتا التي يتراءى الموت الأحمر في جبينها
طوّحي بي في منأى كما يفعل الاعصار ، وخذي كل ما أملك ، وحطمي فيّ لذة الرقاد وهدوء الأحلام . ثم استليني من دنياي
في تلك الوحشة ، في تجرد الروح ، دعينا نتحد معاً في بهجة
وا أسفاً لهذه الأمنية الضائعة ! أين هذا الأمل في الاتحاد الروحي إلا فيكِ أنت ، يا إلهي ؟

— ٥١ —

إذن أتمي الأغنية الأخيرة لتبرح
وأسي هذه الأمسية حين ينطوي الليل
من ذا الذي أحاول أن أضمه بين ذراعي ؟ إن الأحلام لا تضم أبداً
إن يديّ المشوقتين تجذبان الى قلبي فراغاً فترشّان صدري

— ٥٢ —

لماذا جيء بالمصباح ؟
لقد كنت أسدل عليه عباءتي خشية أن تعبث به الريح ، لهذا جيء بالمصباح

لماذا ذبلت الزهرة ؟

لقد كنت أشمها اني صدوي في لهفة الحب . لهذا ذبلت الزهرة

* * *

لماذا جفَّ الغدير ؟

لقد كنت أعترض مجراه بالسدود ليكون لي وحدي ، لهذا جفَّ الغدير

* * *

لماذا انقدَّ وتر القيثار ؟

لقد كنت أحاول أن أرفع عليه لحناً لا يحتمله ، لهذا انقدَّ وتر القيثار

— ٥٣ —

لماذا تمشين في الحجل بنظرة ؟

إني لم أدلف كانشحاذ

غير أني وقفتُ ساعة في ظرف الفناء خلف أسوار الحديقة

فلماذا تمشين في الخجل بنظرة ؟

* * *

أنا لم أقطف زهرة واحدة من حديقتك ، ولا التقطتُ فاكهة

غير أني آويت في خشوع أتفيأ الظلال على جيد الطريق حيث يقف أي عابر سبيل

ولم أقطف زهرة واحدة

* * *

نعم . لقد كانت قدماي تحسان الأعياء ، وقد أخذ المطر ينهمر

وقد ابتدأت الرياح تجاجل بين أغصان الحيزران المضطربة

وتداعت السحب في عرض السماء كأنها تهرع من الخربة

وكانت قدماي تحسان الأعياء

* * *

لست أدري ماذا كان يدور بخلدك عني ، أو عن ماذا الذي كنت تنتظرين

واقفة لدى الباب

إن وهجات البرق كانت تتألق في نظراتك المتوجسة

أتسنى لي أن أعرف أنك استطعت أن تتوصجي وأنا واقف في الغلس ؟

لست أدري ماذا كان يدور بخلدك عني

* * *

لقد انطوى النهار وهدأت الأمطار هوناً ما

وتركتُ أنا ظلال الشجرة التي في طرف حديقتك، وبدت الجلسة على الحشائش
لقد سجا الليل ؛ فاغلقي الباب ، وسأصدق أنا الى غيبي
فالنهار قد انطوى

— ٥٤ —

إلى أين تومض في سيرك وفي يدك سلة على حين راح النهار يحتضر وقد صفير السوق ؟
لقد عاد كل الى داره يحمل وقره، وقد أخذ القمر يشخص من أعالي شجر القرية
إن صدى الأصوات التي تنادي القمر يتسرب عبر الماء المعتم الى المستقع البعيد
حيث البط البري ينام
الى أين تومض في سيرك وفي يدك سلة ، على حين قد صفير السوق ؟

* * *

لقد غمس النوم أعين الأرض بأطراف بنانه
فصمتت أعشاش الغربان ، وهدأ خفيف أوراق الخيزران
والعمال الذين يسكنون في منأى عن حقولهم ، فرشوا حصيرهم في الفناء
فالى أين تومض في سيرك وفي يدك سلة ، على حين قد صفير السوق ؟

— ٥٥ —

لقد كنا في الظهيرة حين مررت
وكانت الشمس تلهب في كبد السماء
وكنت أنا قد أجرت عملي وجلست وحدي في ظل حين مررت

* * *

هذه النسمات الهينة تهبُّ فتثير روح الخمائل الثائرة
والورق تحت الظلال تسجع في غير ملل ، وهنا نغمة تنضُّ في أرجاء حجرتي
تشدو أحبار الخفوق الثائرة
لقد نامت القرية في أوار الهاجرة . انظر الطريق خالياً
وبين الفينة والفينة تأخذ الريح شجر الوشت من الحقيب ، تحمله وتموت
ورحت أنا أسفُّ التبغ بين أصابعي وأرسم في رمادته حروف اسم أعرفه أنا ،
على حين كانت القرية تنام في أوار الهاجرة

لقد نسيت أن أصفف شعري فأخذت النسمات الهينة تداعبهُ على صفحات وجهي
والنهر ينساب في هدوء تحت ظلال الشاطئ
والسحب البيض المتراخية لا تبرح مكانها
أما أنا فقد نسيتُ أن أصفف شعري

* * *

لقد كنا في الظهيرة حين مررتَ
وكان ثرى الطريق يفيح نفحاً ، والحقول يبدو عليها البُشر
والورق تسجع بين نوافذ الأوراق
وكنت وحدي في طنني حين مررت

— ٥٦ —

لقد كنتُ واحدة من نساء كثيرات أشغلهن عمل اليوم البيض في تدبير المنزل
فلماذا أفردتني من بينهن وجذبتني من مأوى صامت كنت أعيش فيه في ركود

* * *

إن الهوى الصامت مقدس فهو يشع إشعاع الجوهر في طيات القلب ، وهو يتراءى قائماً في ضوء النهار اللامع

آه لقد نفذت خلال شغاف قلبي ، وبدرت غراس حبي المضطرب في فراغه ، فخطت — إلى الأبد — ركنه الظليل حيث يرتوي عشه

* * *

إن النساء غيرك عندي سواء
فإنهن من تعلقتُ إلى خلقها العظيم : فهنَّ جميعاً لا يدركنَ سرَّهنَّ
إنهنَّ يبسمنَ ويبكينَ ويثرثرنَ ويعملنَ في رقة ، وهنَّ كل يوم يذهبنَ إلى الغدير ويشعلنَ المصابيح ويملأنَ الجرار من النهر

إني أطمع في أن أفقد قلبي من الغار الدائم . . . عار أن لا يجد مأوى غير وجهك ما يبرح يتراءى عني

نعم ، ها هو الطريق منفسح أمامك ، لكنك أنت قطعت عليَّ الطريق ، وخلفت خطاي حسيراً أمام هذا الناس لبد فيه — ليل نهار — في غير خجل

الحرب الخاطفة

« بلتسكريج : Blitzkrieg »

كان الرأي الغالب من سنة او اكثر قليلاً في كثير من الدوائر الحربية ان اسلحة المدافعين تملك بالمهاجمين فتكاً ذريعاً فيجب التزام الدفاع في الحرب. ولكن اصحاب هذا الرأي قد صمتوا الآن، والعالم واقف دهشاً امام نتائج « الحرب الخاطفة » كأنها شيء جديد في تاريخ الانسان

ليست فكرة « الحرب الخاطفة » بالجديدة . وقديماً وصف الترك احد سلاطينهم بايزيد الاول بالصاعقة « يلدرم » لسرعته في مهاجمة العدو واخذه مفاجأة . وانما الجديد هو الأسلوب الذي اتبع في استعمال المخترعات الميكانيكية الحديثة وتنظيمها في شن حرب خاطفة على العدو . وحل هذه المخترعات وليد محرك الاحتراق الداخلي فهو القلب النابض الدافع للطائرات والدبابات والسيارات المصفحة وغير المصفحة . ولكن القواعد الأساسية في حرب من هذا القبيل ما فتئت على ما كانت عليه في القدم: خطة مدبَّرة محكمة التدبير يختار اصحابها الأرض التي توافق اسلوبهم في القتال ولهم جيش يستطيع ان يضرب ضربة مدوّخة فيخترق كلّ نطاق من الحصون وخطوط الدفاع

و « الحرب الخاطفة » مزيج من عناصر اساسية لا بدّ منها . اولاً — التأهب الوافي الدقيق . وثانياً — معرفة الهدف الذي تتوخاه . وثالثاً — معرفة دقيقة لقوة العدو ونكل أكمة ووادٍ وطريق وجسر وجسر في الأرض التي تختار ميداناً للقتال . وعلاوة على ذلك يجب ان تعرف أساليب العدو في تموين جيشه بالزاد والماء وجميع المعدات التي لا غنى عنها في القتال حتى يتاح للمهاجم ان يقطع اسباب التموين عنه بضرب خطوط المواصلات اللازمة له . وهذه المعرفة تستخرج من دراسة المخترعات الكبيرة دراسة مدققة ، والرحلة في البلاد يقوم بها رجال يجيدون حلالها بين خبير القيادة ، والبحث الدقيق في موارد العدو ومصانعه . ولا يتم التأهب للحرب الخاطفة الا بعد ان تتوافر لدى القيادة العليا جميع هذه الحقائق والتفاصيل . لأنها التمهيد الذي لا بد منه لشل قدرة العدو على المقاومة المنظمة

وفي ذلك صنع مخترعات كبيرة بارزة يكبّ عليها ضباط أركان الحرب ، يبحثون كل ناحية من النواحي التي يمكن أن يستعد بها العدو في المقاومة . ثم تجري مناورات في بلاد الجيش الذي يذوي المحروم ، فتمثل فيها جميع أنواع العقبات الطبيعية والصناعية التي قد يلاقيها عند الجيش في هجومه . وهذه المناورات لا بدّ منها لتدريب فرق الدبابات وأسراب الطائرات وكتائب المدفعية وفصائل المشاة على تعاونها وحدة واحدة تحت القوى مشيئة الأجزاء وتنظيم كل فرد على قدر الطاقة في مكانه الذي يتطلب منه وحده . ويجب أن تجري في أرض شبيهة بالأرض التي ينتظر أن يقع فيها المحروم

وعلاوة على ذلك يجب أن يتعلم الجنود وانضباط الذين عليهم المعوّل لغة العدو الى حدّ ما على الأقل

وإذا كان القصد إعداد حملة على بلاد وراء البحار فيجب على رجال الحملة أن يتدربوا تدريباً دقيقاً على شحن السفن وإفراغها وتركيب الثقالات والنزول منها ويجب أن تشحن كل سفينة بحيث تكون وحدة كاملة من الجند والعتاد إذ لا فائدة من شحن سفن بالرجال وأخرى بالعتاد فتصل الرجال في سفن وقد تصاب سفن العتاد وهي في الطريق بما يحول دون وصولها فيغدو الرجال عزلاً. وما يصدق على الشاة يصدق على رجال الهابطات وغيرهم ممن ينقل بطائرات النقل. كل أولئك يجب أن ينظم تنظيماً دقيقاً لا يدع مجالاً للخطأ.

وبعد أن يتم التأهب الدقيق في جميع الوجوه، تنطلق «الحرب الخاطفة» من عقالها كالإعصار الجتاح فيحدق كل طريق مفضٍ الى بلاد العدو بالدبابات تتقدمها السيارات المصفحة. وتتبعها المشاة منقولة بالسيارات. وتحوّم فوقها وتسبقها قليلاً الفاذفات والمنقضّات [illegible] فتطهر مطارات العدو وعقد مواصلاته الحيوية ومصانعه بقنابل الفوت. فاذا دافعت صفوف العدو دون المركبات الثارية انقضت عليها من ارتفاع يسير هذه الطائرات فتقذف قنابلها وتطلق رشاشاتها ومدافعها الخفيفة على كل نقطة تشتد فيها الدفاع قليلاً

فاذا كانت شبكة الطرق التي تسلكها القوات الميكانيكية تجتاز نهراً فيجب ان تتقدم الطائرات المنقضة الى الهجوم على الحماة بقنابلها وفي الوقت نفسه او بعد ذلك بقليل تنقل طائرات النقل فتخرج منها جنود الهابطات فلا تكاد تصل الى الأرض حتى تتجه الى النقط الرئيسية كرؤوس الجسور او الدور التي تولد فيها الطاقة الكهربائية او الحجرة التي يسيطر منها العدو على سد من السدود فتحتلها. فاذا لقيت مقاومة عنيفة وجب عليها ان تمضي في الكفاح حتى تصل الدبابات. ويعين المهاجم في هذا الفصل اعضاء «الطابور الخامس» بالاستيلاء على المراكز النفوذية الرئيسية وبنشر الأخبار الكاذبة التي تفتّ في العضد وتذيع الفزع، واذاعة اوامر متناقضة، وتدمير خزانات الماء وطريق توزيعه ومصانع توليد الطاقة الكهربية واحتلال محطات الاذاعة ومكاتب سكك الحديد أو تدميرها

وما كان من مقتضيات الحرب الخاطفة ان يكون المهاجم عارفاً معرفة مفصلة أرض العدو في رسمه ان يوجه طائرات النقل وهي تنقل جنود الهابطات الى نقط معينة فتتولى هذه الجنود عند هبوطها الى الأرض مساعدة رجال «الطابور الخامس» بالاستيلاء على مواقع حيوية وتصحب ذلك اقذف تقليل على المدافع والمرى فيفر الناس الى الشوارع والطرق طالبين [illegible] الى مكان آمن وهناك يهم الطرق فيتعذر انجاد الصفوف المتقدمة من المدفعين وتموينها ويضطر المدافع الى تأجيل [illegible] الكتاري ولا بد من [illegible] لأنه يرى ان [illegible] يعرض نفسه من اللاجئين لأخطار جسيمة

فاذا انصرف العدو عن الشور الانساني الى الضرورات الحربية وفعلاً تسنف الجسور والأنفاق فان ذلك طبعاً يؤخر تقدم القوات الميكانيكية السريعة . ولكن يجب ان نذكر ان «الحرب الخاطفة» سائرة وفقاً لخطة معدة إعداداً محكماً في ميدان واسع والقوات زاحفة على طرق متعددة فتأخير فصيلة أو فرقة من فصائلها أو فرقها لا يؤخر الفصائل والفرق الأخرى السالكة طرقاً أخرى سواء كان ذلك التأخير بسبب مقاومة العدو او عقبات أخرى تعترض الزحف . ذلك بأن الزحف العام أشبه ما يكون بالمد المرتفع يصطدم بصخرة تعترض سبيله فتسيل المياه على الجانبين وتلتقي وراء الصخرة وتطغى في اندفاعها تاركة الصخرة كأنها جزيرة صغيرة وسط تيار صخاب . وقد تتاح الفرصة للانتفاع بالطائرة المستكشفة فانها دائمة التحليق فوق الصفوف الزاحفة فتكشف ان العدو صد الفصيلة في نقطة معيَّنة فتعود بالخبر الى مقر القيادة فتوجَّه الطائرات المقضة الى هذه النقط — وهي كالجزائر المنعزلة في خضم ثائر — فتنقض عليها محاولة كسر مقاومتها بهجومها العنيف . وتوجَّه كذلك فصائل المهندسين الى حيث تنسف جسراً ما لاصلاح ما دمَّر او لانشاء جسر من الاطواف لعبور النهر . وقد تستعمل زوارق من المطاط تنطوي عند ما لا يكون ثمة حاجة اليها فاذا بدت الحاجة اليها نفخت بأجهزة خاصة واستعملت لنقل فصائل الجنود واسلحتهم الخفيفة . وهذه الزوارق يسهل نقلها الى حيث يجب استعمالها إما بسيارات النقل واما بطائرات النقل

فالسرُّ في المرحلة الاولى من مراحل الحرب الخاطفة هو «المفاجأة» . فالمفاجأة تجرُّ في اثرها الاضطراب والتردُّد وتبعث الفوضى . ولذلك يجب ان تكون الدولة المهاجمة أملك لعنان الجوّ من الدولة المهاجَمة ولا تقدم قيادة عليا على حرب خاطفة إلاَّ اذا كانت واثقة بان سيادة الجوّ لها . فأقوى الاجسام يفقد كل حول وطول اذا اصيبت عقده العصبية فتضطرب الصلة بين الجهاز العصبي المركزي والاعضاء . والحرب الخاطفة غرضها ان تحدث هذا التأثير في الجسم السياسي

الى متى يستطيع جيش مهاجم ان يمضي في هجومه الخاطف هذا ؟ ان ذلك رهن قدرته على الفوز بما يلزم لرجاله وأجهزته من طعام ووقود وذخيرة . فالفصائل الميكانيكية التي تستطيع ان تقطع مائتي ميل في اليوم اذا لم تلق عقبات ما في طريقها ، تحمل عادةً من الزاد والوقود ما يكفي حاجة يومين . فالغالب انهُ اذا استطاعت فصيلة من هذا القبيل ان تخترق خطوط الدفاع الاولى فان تقدمها بعد ذلك يمضي متباطئاً لانهيار المقاومة وتفشي الاضطراب . ولما كان من قواعد هذا النوع من الهجوم معرفة ارض العدو معرفة دقيقة فمن المحتمل ان تتمكن قيادة هذه الفصيلة ان تستولي على الزاد والوقود المصادرة من المناطق التي تجتازها . فاذا كان ذلك متعذراً لسبب ما فعليها ان تتلقى من القيادة العليا على تسيير قوافل من السيارات في اثرها تحمل ما تحتاج اليه من زاد ووقود وذخيرة . وهذه الطريقة كذلك قد تحمل فالأغلب الفصيلة العدو التي رمى

العدوّ، رجالٌ لا يهمّهم التعب ودبابات وسيارات لا يوهنها السير

ولكن مصيبة من هذا القبيل قد تتعرض لهجوم طائرات تقلع من مطارات لم تدمَّر في مستهل القتال ولذلك يجب ان تتقدم هذه القصيلة أسرابٌ من الطائرات المطاردة لحماية الوحدات الميكانيكية المتقدمة والسيارات التي تليها تافلة المشاة من قاذفات العدو، ولتحمي القاذفات من مطارديه. ويصحب المطاردات في الجو سيارات على الأرض تقلّ المدافع المضادة للطائرات لتعاون المطاردات والمدافع على رد قاذفات العدو على أعقابها او اسقاط ما يتيسر اسقاطهُ منها. ثم لا بد من نصب المدافع المضادة للطائرات فوق الكباري والقوات والأنفاق التي فزعت من العدو خشيتها من قاذفاته

هذه صورة تبعث الهلع في النفوس، ولكن قلما اخترع الانسان سلاحاً ولم يخترع سلاحاً آخر يقي منهُ فسرُّ الدفاع ضدَّ نوع شيطاني من الحرب كالحرب الخاطفة هو أولاً النظام القائم على التدريب. فهو يمكن الناس من التماسك في الأوقات العصيبة ويضاف الى ذلك تنظيم الأعمال الحربية والأهبة تنظيماً يمنع الفوضى. فللمطارات يجب ان يوضع فيها كتل كبيرة من الأبرق المسلَّح حتى تعيق نزول طائرات الأعداء ودروجها في أرضها. ولكن يجب ان تكون قابلة للتنقيل حتى لا تعيق حركة الطائرات المدافعة. يجب ان يدرَّب رجال المطارات تدريباً عملياً، وايّاي على تنقيلها بنظام وسرعة. وكذلك يجب أن تنشأ في المطارات خنادق تغطيها ألواح ترفع وتخفض فترفع اذا لاح ان سرباً من طائرات العدو يحاول النزول في المطار وليس في أوسع ردهُ، فلا تدرج طائراتهُ على الأرض حتى تعترضها الخنادق فتسقط فيها العجلات المتقدمة وتتقلب الطائرات فتتحطم او تحترق. وجميع الطرق الرئيسية يجب كذلك ان تعيَّن لها فرق خاصة لحمايتها. والكباري يجب ان تتم ويعهد بحراستها الى من لا يتأخر ثانية في انفاذها متى لزم الأمر ومصانع تكرير المياه وتوليد الطاقة الكهربائية الاضاءة وتحريك الآلات ومباني التلفونات والتلغرافات الرئيسية ومحطات الاذاعة ومخارج البترول والمصانع — جميع هذه المنشآت يجب ان تصان بنظام دقيق من قبل الحرّاس الذين لا يتأخرون عن تدميرها

اما صفوف الجيش المتقدمة التي تتولى الدفاع عن الحدود فيجب ان يكون قوامها رجالاً مدرَّبين تدريباً جيداً ويجب ان يكونوا مجهزين بالمدافع المضادة للطائرات واخرى مضادة للدبابات وان يكون غرضهم من استعمال هذه المدافع بطاء سرعة الزحف من ناحية العدو. ووراء هذه الصفوف يجب ان تقوم كتلة من الجيوش المدرَّبة في منقطة يستطاع اتخاذها قاعدة لهجوم [illegible] على العدوّ ويجب ان يكون في اوسع توجيه هذه القوى او جزء منها توجيهاً سريعاً الى النقطة التي يبدو فيها ضعف العدو او التي يصلح فيها الهجوم عليه ويجب ان يكون هذا الجيش محمياً بمدافع مضادة للطائرات أخرى مضادة للدبابات، ويجب ان تكون طلائعهُ من الوحدات الميكانيكية التي استطيع ان [illegible] وسرعة في النقطة التي يراد الهجوم فيها. [illegible] وتدمير حدوده [illegible] والقوى التي [illegible] صفوف العدو

ومن العبث ان تسعى دولة الى بناء أسوار من الحجارة او الأبراج المسلحة او الصلب لتقي نفسها من حرب خاطفة . لأن الاعتماد على هذا النوع من التحصين يعني ان الدولة المدافعة تستطيع ان تجعل كل نقطة من نقط حدودها قوية بحيث تعجز العدو عن اختراقها . وهذا متعذر على حدود طويلة . وطريقة العدو هي امتحان الدفاع هنا وهناك حتى اذا بدت نقطة ضعيفة فيه وجه معظم جهده اليها ليخترقها وينشر وراءها فتضطر القوات المدافعة عن جانبيها الى الارتداد بغير ان تخرق حصونها وإلا فانها تعرض الأسر بحركة التفاف . ويجب ان يكون السلاح الجوي للدولة المهاجمة متأهباً لعمل سرعة اعمال الجيوش الزاحفة بسرعة ومصادمة قاذفاته وجمع الأخبار عن حركة فصائله وهذا العمل يجب ان ينسق تنسيقاً تاماً مع الجيش على الأرض او الأسطول في البحر . فالسلاح الجوي اذا قام بعمله منفصلاً عما تنوبه وتلتزمه قيادة الجيش او قيادة الأسطول عديم الجدوى لأنه يكون في هذه الحالة كبطارية من المدافع لا تؤيدها قوة من الجيش . ولكن عندما ينسق عمله مع الأسلحة الأخرى يصبح سلاحاً فعالاً ولا يستغنى عنه في الحرب الحديثة

ويجب ان يضاف الى كل هذا نظام واسع النطاق يشمل جميع وسائل المخابرات الحديثة والاتصالات الكهربائية لامداد وحدات الجيش والأهالي بأقرب العدو ويجب ان تنشأ هيئات محلية من الأهالين لاصطياد جنود المظليات عند نزولها الى الارض او قبل وصولها الى الارض

فأسلوب جنود المظليات غرضه إنزال جنود مسلحين وراء خطوط القتال للاستيلاء على مواقع يقضي الاستيلاء عليها الى نشر الاضطراب والفوضى داخل البلاد وهم ينزلون الى الأرض متفرقين في منطقة واسعة ويجب ان يلموا شعثهم ليعملوا معاً كما يجب عليهم ان يجمعوا ما قد يسقط من الطائرات المظليات كذلك من المدافع الرشاشة والذخيرة ، فخطرهم فرادى ليس كبيراً ولكن إذا إجتمعوا فصائل عظم خطرهم . فاليقظة الدائمة لازمة لاصطيادهم قبل إجتماعهم . ومن الهيئات الأهلية ما يجب أن يعهد اليه بتدمير طرق المواصلات كقطع الجسور والخنادق فيها لأن الغرض هو تأخير سرعة الزحف ميكانيكي . وهذا العمل أشبه ما يكون بالتجاء القرملة الخفض سرعة سيارة او قطار . فكل عمل من شأنه تأخير زحف الحملة الميكانيكية يهيىء لأسباب النصر ما يجب عليها . وعمله الأعمال حاجة الى تدريب . ويجب أن تكون وفقاً لخطة موضوعة وقسام دقيق

إن السر في نجاح الحرب الخاطفة كامن في قدرة الجيش المهاجم على استغلال الهجوم الأول الذي تولاه الفرق الميكانيكية . أي ان تسير كتلة الجيش في أثر الفرق الميكانيكية فتسحق أقدامها في المناطق التي مرت فيها وتردّ العدو عنها وتفتح الطريق لانضمام منتظم بين الطلائع والقواعد فيلتقي ويتزود بالمؤن والذخيرة والمعدات . وهذا استطاعت القوات المهاجمة ان تفيق من الضربة الخاطفة التي صدمتها ولا تستطيع القوات التي تولت ادارة الأخرى المدافعة ان تهاجم في الدفاع ما أتيح لها ان تكون مستعدة

مبادئ ومصالح

موقف الولايات المتحدة في الشرق الاقصى [1]

يستند موقف حكومة الولايات المتحدة الاميركية من شؤون الشرق الاقصى الى طائفة من المبادئ، أذاعتها أنظمتها وأعادوها ولم يتوانوا عن التصريح بتمسكهم بها وعدم حيادهم عنها. أما المبدأ الاول فهو مبدأ « الباب المفتوح » أذاعهُ وزير خارجيتها المستر جون هاي في سنة ١٨٩٩ وأبسط تعريف له هو النص على سيادة الدول جميعاً في باح رعاياها من فرص للاتجار في الصين

والمبدأ الثاني يشتمل على ثلاث قواعد تضمنتها معاهدات وشنطن التي عقدت في مؤتمر وشنطن البحري سنة ١٩٢١ — ١٩٢٢. ففي المعاهدة البحرية عينت نسبة القوة البحرية للدول البحرية الكبرى وهي بريطانيا والولايات المتحدة واليابان اذ جعلت هذه النسبة ٥ لبريطانيا و٥ للولايات المتحدة و٣ لليابان. وهذه النسبة تشمل البوارج. وقد طبقت بتعديل يسير على الطرادات في سنة ١٩٣٠. وفي معاهدة الدول الأربع تعهدت الولايات المتحدة الأميركية وسائر الدول التي وقعتها ومنها اليابان وبريطانيا بالامتناع عن تحصين قواعدها البحرية في غرب المحيط الهادي، اي في نصفه القريب من سواحل آسيا. وفي معاهدة الدول التسع تعهدت اليابان مع الدول الأخرى التي وقعتها باحترام وحدة الصين وسلامتها واستقلالها

والمبدأ الثالث هو مبدأ عدم الاعتراف الذي أذاعهُ المستر هنري ستمسون سنة ١٩٣١ على أثر اعتداء اليابان على منشوريا وانشائها امبراطورية منشوكو صنيعتها على النمط الاسيوي. كان المستر ستمسون وزير خارجية حينئذٍ في حكومة اميركة جمهورية برأسة المستر هربرت هوفر. وهو الآن وزير الحربية في حكومة اميركة ديمقراطية مع بقاء جمهوري. وملخص هذا المبدأ ان الحكومة الاميركية تمتنع امتناعاً باتاً عن الاعتراف « بأية حالة او معاهدة او اتفاق يحقق عن طريق مناقض لميثاق تحريم الحرب المعروف بميثاق « كلوج — برين » أي أنها تمتنع عن الاعتراف بكل تغيير في أوضاع الشرق الأقصى يتم بالقوة

« الباب المفتوح » — « سلامة الصين ووحدتها » — « مبدأ عدم الاعتراف » — هذه هي القواعد الثلاث التي يستند اليها موقف الحكومة الأميركية في الشرق الأقصى

وليس ثمة ريب في ان تصور الحوادث في الشرق الأقصى في السنوات الاخيرة، نقض جميع هذه المبادئ من أساسها. فسياسة « الباب المفتوح » في الصين غدت اسماً لغير مسمى

---

[1] هذا البحث [illegible] من شؤون الشرق الاقصى [illegible] الحكومة [illegible] بقلم [illegible] سفارة اميركة في بغداد [illegible] واليابان

الرغم من البيانات الرسمية التي تذيعها الحكومة اليابانية في الفينة بعد الفينة . التجارة ممنوعة في منشوكو الا للدول التي تعترف بها . واستيلاء الأنهار الصينية والثغور الصينية خاضع للاراضي العسكرية وشتى القيود المالية . أما وحدة الصين وسلامتها و استقلالها فقد اصبحت امراً يدعى على الرغم من ان اليابان لم تعلن حرباً على الصين . فمنشوريا وجيهول انتزعتا منها بالقوة في سنة ١٩٣١ وحولتا دولة مستقلة اسمياً خاضعة لليابان فعلاً . والولايات الخمس الشمالية التي تليها انتزعت في سنة ١٩٣٧ وأوائل ١٩٣٨ وأنشئت فيها حكومة تريدها اليابان محمية لشعب الصيني قاطبة وتأبى كثرة الشعب ان تعترف بها . والقوة الحربية اليابانية مستولية على الثغور والمتاجر والسكك الحديد والأنهار في شطر كبير من الصين وقد تم كل ذلك بوسائل وأساليب مناقضة لميثاق تحريم الحرب . علاوة على ذلك ان اليابان أعلنت شريكتيها في المعاهدات البحرية بأنها غدت غير مقيدة بنصوصها . ومضت في انشاء أسطول يجري أحدث أبناء محجاب كثيف من الخفاء والكتمان كما أحاطت دور الصنعة البحرية التي تبنى فيها السفن الجديدة بجدران عالية حتى لا تتطاول العيون الى داخلها .

فعلت ذلك باسم مبدأ جديد أطلقت عليه «النظام الجديد في شرق آسيا» وأحاطته بتصريح وصف بأنه « تصريح مونرو الياباني » . الا ان تصريح مونرو الأميركي تصريح سلمي غرضه الحيلولة دون تدخل أوربا في شؤون القارتين الأميركيتين ولكنه لا يحتم ولا ينظر الى سيطرة الولايات المتحدة عليهما . حالة ان « تصريح مونرو الياباني » تصريح إجنبي . فهو لا يرمي فقط الى ابعاد كل نفوذ أجنبي عن شرق آسيا بل يرمي كذلك الى تحويل شرق آسيا وجزائر البحار الجنوبية كتلة كبيرة خاضعة لليابان . فمبدأ الباب المفتوح أصيل في الاولى ومبدأ « الباب المقفل » او « الباب الموصد » أصيل في الثاني . واليابان تنظر الى السيطرة بفعل قوتها الحربية المتفوقة على رقعة كبيرة من سطح الكرة الأرضية . والولايات المتحدة تنظر الى تعاون حر وتبادل غير مقيد بين الدول الكبيرة والصغيرة على السواء في رقعة من سطح الارض او على سطح الارض كله . وهذه الفروق بين النظريتين تمس أصول الاجتماع الدولي . فاذا ذهبت اليابان الى أقصى نتائج النظرية التي تنتهجها ، ويلوح أنها ذاهبة معها بتعريج لطريق وعر ، فليس ثمة أمل في التفاهم والاتفاق بين الدولتين الكبيرتين اللتين تتباريان بالمحيط الهادي . ذلك بأن أميركا لا ترضخ لقيام موصدة أبوابه في وجهها ، في منطقة من الأرض لها فيها حقوق تساوي في رأيها على الأقل حقوق اليابان

***

فما هي حقوق الولايات المتحدة في الشرق الأقصى وما مصالحها

المصالح كثيرة متباينة ، والحقوق مستمدة من رسوخ تلك المصالح في ارتقاء الشرق الأقصى التاريخي والاقتصادي والاجتماعي

من هذه المصالح خطوط ، وهو يشمل الجزائر المتعددة التي تملكها في المحيط الهادىء أو التي تعتبر مسؤولة عن سلامتها كجزائر الفيليبين ومنها القوي في الصين واليابان والفيليبين والهند الهولندية وغيرها من جزائر عشرات الألوف من الأميركيين يقيمون هناك ويباشرون أعمالهم السلمية المشروعة من عشرات السنين في نطاق القانون والنظام ، وكان لهم أثر أي أثر في نهضة تلك البلدان وارتقائها . ومنها المتاجرة فللاميركيين عشرات الملايين من الجنيهات ، كسبوها بعرق الجبين وثمروها في بلدان الشرق الأقصى فكانت الفائدة متبادلة بين الفريقين . وقد لا يقل مجموعها عن ١٥٠ الى ٢٠٠ مليون من الجنيهات . ومنها التجارية الكثيرة اذ تبلغ تجارة الولايات المتحدة من صادر ووارد مع اليابان والصين وجزائر الفيليبين وحدها ما يزيد على ١٩٠ مليون جنيه في السنة . ومنها الجوية من مدنية وحربية فالولايات المتحدة زعيمة الدول التي شقت طرق المواصلات الجوية في المحيط الهادي والبحار الجنوبية . ولا ريب في ان القواعد الجوية المدنية التي أنشأتها شركة «پان أميركان» للمواصلات الجوية في مختلف الجزائر في ذلك المحيط هذا قبما حربية ليس في الوسع الاغضاء عنها . ومنها الثقافية والعلمية كمعاهد العلم والتعليم ومنشآت البحث الطبي والصحي ولا سيما التابعة لمعهد روكفلر المشهور وغيرها . وليس في وسع الولايات المتحدة أن تنسحب من الشرق الأقصى بفضها وفضيضها بغير أن تصاب جميع هذه المصالح بالضرر والأذى .

وأخيراً هناك مصلحة المصالح ، وهي مصلحة الدفاع عن الكيان . ان ترابط أجزاء العالم وتماسك بلدانه ، وتأثرها بعضها ببعض ، أصبحت في منزلة الأوليات التي لا تحتاج الى دليل . فحوادث فلندا وهولندا لها أثر في سنغافورة وجاوى . ومعركة الشرق الأوسط تتجاوب أصداؤها بين تركيا وروسيا وايران الى الهند والصين . والولايات المتحدة الأميركية تحس حساً عميقاً كل دولة كبيرة ولا يسعها الا كبار تبعتها والقاء حملها في جميع الطريق فاذا حافظت على منزلتها وهيبتها العالمية ولا سيما في الشرق الأقصى ، كان لذلك شأن كبير في المساعدة على الاستقرار في جميع أنحاء العالم . واذا نزلت عما لها من منزلة وهيبة في الشرق الأقصى ، فانها تغري بقوى تبغيه ، وتعرضت جميع الأمم المرتبطة بها بموجب اتفاقات في مواجهة خطر داهم وهددت روابطها في أوروبا . فصارت للولايات المتحدة الاميركية ، ان تواجه ، تلك الحرب مفردة عظيمة ، ويجب على أقصى تقدير أن يحسبوا حساباً عميقاً لخطر السير بمرض [illegible] والاقتصادي وصورة الحياة المتغيرة في الحرة التي ارتضوها و [illegible]

على غيرها قد لا يكون الهجوم الجوي على الولايات المتحدة من ناحيتي أوربا وآسيا أخطر ما تتعرض له في البدء نتيجة فوز بريطانيا — إذا وقع بسبب تراون أميركا في الشرق الأقصى — بل قد يسبقه وقوفه شاهراً الخطر على تجارتها في بحار الأرض السبعة ، وإحداث الانقلابات السياسية من الداخل في جمهوريات العالم الجديد ثم السعي الى إحداث الانقلاب أو اضطرام حرب أهلية أخرى فيها نفسها . وليست هذه الأقوال من مبتدعات الخيال وانما هي وسائل وأساليب منصوص عليها في كتاب « كفاحي » وكتاب « هتلر قال لي »

فالمحافظة على صورة الحياة الديمقراطية والمحافظة على الكيان الأميركي وجهان لمسألة واحدة واشتراك الولايات المتحدة في الحرب — مهما يكن الغالب الذي يفرغ فيه هذا الاشتراك — ليس مجرد خدمة تسدى ولكنه ضرورة قاسرة لا مفر منها

على ضوء هذه الحقائق نستطيع أن نفهم سوء وقع الاتفاق الثلاثي بين المانيا وإيطاليا واليابان في دوائر الحكومة الأميركية ونفس الشعب . ونصوص الاتفاق تشير اشارة واضحة غير ذكر الولايات المتحدة الأميركية الى أنها مقصودة به قبل غيرها ، لأن روسيا اخرجت منه بنص صريح فيه ، مهما تكن قيمة ذلك النص . ولكن الولايات المتحدة حكومة وشعباً ، أبت أن تتأثر باعلان الميثاق على الوجه الذي كانت تتوقعه برلين وطوكيو . فأقطاب حكومتها — كوزير الخارجية المستر كوردل هل . ووكيله المستر سمنر ولز — صرحا بأن الاتفاق لا يعطي على شيء جديد وانه سجل حالة قائمة منذ سنوات وان الحكومة الأميركية حسبت هذه الحالة حساباً في جميع خططها والشعب نفسه ممثلاً في صحفه ومذيعي محطاته اللاسلكية ساخط أشد السخط على ساسة يعتقدون أنهم يستطيعون إرهاب الأمة الأميركية بأساليب ملتوية وخفية — خوفاً — على التكوص عما تراه حقاً او واجباً او لازماً لكيانها . ولذلك اشتد اقبال الطائفة في أميركا بمضاعفة الجهد الدفاعي والصناعي الذي يبذل لبريطانيا . وكذلك ضاعفت الجهود المبذولة في أميركا لتعزيز قوتها البرية والبحرية والجوية . وكان من تأثير هذا التحول في الرأي ان عقدت محادثات مع حكومات استراليا ونيوزيلندا الجديدة لمدارهما الدفاع والتعاون البحرية والجوية في المحيط الهادي وحديقة نصفه الجنوبي . وكان من أثيره كذلك ان هبوط قيمة العزلة في الولايات المتحدة أخذت تتضح على حقائق الحالة الدولية . فخفت صوتهم في نقد سياسة الرئيس روزفلت ، بل ان مرشح الحزب الجمهوري وهو الحزب الذي ينتمي اليه ينتقد سياسة الرئيس روزفلت أصبح وكأنه يتكلم بلسان الرئيس نفسه . بل ان الرئيس يشاوره في حل المعضلات التي لا يشغل منصباً رسمياً مثله

ليون تروتسكي

شريك لنين ومنشىء الجيش الاحمر

مدار اختلافه مع ستالين

الثورات تلتهم أبناءها لأنها بطبيعتها لا تقبل — وهي عائجة مكتسحة — الحلول المتوسطة أو الاتفاق بين الطرفين المتطرفين. فالفوز يكون لأحدهما بقهر الآخر وزواله. وهذه الحقيقة قضت على تروتسكي بأن يكون طريد روسيا السوفياتية بعد أن كان شريك لنين في انشائها. فهام على وجهه وهو أعزل لا يملك الا كلمتي « الثورة الدائمة » بين شفتيه فعاش فترة في أحدى جزائر الامراء في بحر مرمرة ثم في نروج. ولكن اوربا كلها ضاقت به فهجرها مضطراً الى المكسيك حيث استقر على صلة بأتباعه الى ان واقته منيته في عاصمتها على أثر اصابته بيد مغتال في أواسط شهر أغسطس الماضي

***

ظل اسم تروتسكي الى سنة ١٩٢٧ لا ينفصل عن اسم لنين كلما ورد ذكر الثورة الشيوعية في روسيا. ولكن خلافه مع ستالين بعد موت لنين في سنة ١٩٢٤ كان لا بد ان ينتهي الى احد امرين: إما فوزه الكامل وتقلده زمام الامر في روسيا واما فوز ستالين الكامل وخروج تروتسكي من الميدان. فالتعاون بين الرجلين كان متعذراً. ذلك ان تروتسكي كان ذا فكر لماح كالبرق ومدية حاضرة وكان خطيباً مفوهاً يشهد الذين سمعوا كبار الخطباء في هذا العصر بأنه كان أحدهم. وكان شديد الاعتماد على ما له من مكانة في روسيا الشيوعية قائمة على مشاركته لنين في انشائها عن عجاجه في انشاء الجيش الاحمر وكسب الحرب الاهلية فيه بعد الثورة ورد اعداء روسيا عن حدودها — وأهل أداة الثورة في البلاد وهي الحزب الشيوعي

وكان ستالين [illegible] أصلب مشيئة وأصدق إدراكاً لمنابع السلطان في روسيا فقد الحزب شيوعي [illegible] مكنه من السيطرة عليه لأن أتباعه وأصدقاءه كانوا في المناصب الرئيسية فيه فصار الحزب اذا عقد جلساً للبحث في مسألة خطيرة يسمع تروتسكي يحضر [illegible] الذي [illegible] وكذلك قضى تروتسكي

رويداً رويداً من المناصب التي تمكنه من توجيه سياسة الدولة ثم طرد ثم أبعد . وفي أثناء ذلك من روسيا نظمت المحاكمات المشهورة وكانت التهمة الرئيسية في بعضها الاشتراك مع « الخائن تروتسكي » في التآمر على سلامة الدولة . فهل هذا صحيح ؟

***

قبل إبداء الرأي فيه يجب ان نقول ان أعمال تروتسكي الى ان أُبعد عن روسيا تؤهله لمكانة عالية بين أقطاب هذا العصر بصرف النظر عن رأينا في الموافقة على هذه الاعمال او استنكارها . كان لا يزال في طراوة الحداثة عندما انتظم في الاعمال الثورية فسجن ونفي مراراً قبل ان بلغ السادسة والعشرين من عمره . وفي سنة ١٩٠٥ شبت الثورة الروسية الاولى بعد الحرب الروسية اليابانية — ولكنها ثورة لم تنجح — فاختير ليون تروتسكي وهو في السادسة والعشرين رئيساً لمجلس عمال (سوفيات) بتروغراد . فلما أخفقت الثورة قبض عليه وحوكم وسجن ونفي ثم فرَّ . وفي فراره من بوليس البلدان المختلفة اجتاز النمسا وسويسرا وفرنسا واسبانيا الى أميركا وكندا . ثم عاد الى روسيا في مايو ١٩١٧ وهو في الثامنة والثلاثين من عمره

والعجيب في أمره انه لم يكن عضواً في الفريق البولشفيكي من الشيوعيين عند عودته بل كان أحد أقطاب الفريق الآخر المنشق المعروف باسم « المنشفيك » وكان لنين زعيم البولشفيك قبل تروتسكي زعامته ورضخ لشخصيته على ما بين الرجلين من تباين . ولكن لنين عرف كيف يستخرج من تروتسكي أحسن ما فيه فعينهُ وزيراً للحربية وهو لا يعلم شيئاً عن فنون الحرب

ولكن الرجل نهض الى مستوى الساعة الخطيرة في تاريخ الثورة التي ما فتئ يسعى اليها ويتعذب في سبيلها من صغره فأنشأ من مجموعة باثسة من الرجال صغار الوجوه مقطبي الجباه غائري الخدود والعيون ضيقي الأكتاف صائتي الذرع بالحرب وملاياها جيشاً حرب به أعداء النظام الجديد في الداخل وأعداءه في الخارج . ويروى ان تروتسكي قضى سنة ثلاث سنوات في القطار متنقلاً من ميدان الى ميدان للاتصال بالفرق والكتائب لحثها على خطتها وتعزيزها وتشجيع رجالها وليكون صلة بينها وبين الحكومة الجديدة

ولذلك يصح ان يقال ان عقل لنين وضع قواعد النظام الجديد ويده خطت خطوطه الرئيسية . ولكن تروتسكي كان هو الذي شق الطريق بجيشه الى النجاح وقد هتك

تاريخ الثورة الروسية كتب قبل نفيه — سنة ١٩٢٧ — لا يعترف له بهذه البد. فما أن يكون ستالين قد أمر بحذف اسمه من هذه التواريخ فلا يؤثر مطلقاً في حكم التاريخ عليه. وأعظم أعمال تروتسكي تتجلى في الفترة التي كان يعمل فيها مع لينن يداً واحدة

***

نعود الى السؤال: هل تآمر تروتسكي على الدولة

لاريب في أن تروتسكي كان يخالف ستالين في اتجاه الثورة الروسية وكل منهما من الأدلة والحقائق في حالة روسيا وحالة العالم ما يؤيد به رأيه. فستالين نحا بالشيوعية نحو الوطنية متخلياً الى حين على الأقل عن دعوة « الثورة العالمية » مكتفياً أولاً بأن تحقق الدولة الاشتراكية المثلى في روسيا. وستالين خاضع في هذا الموقع لروسيا الجغرافي واحتمال اضطرارها الى محاربة عدوين كبيرين في بلدين بعيدين أحدهما في الشرق الأقصى والآخر في أوربة، فلا بدّ من توثيق أواصر الصداقة — الى حين على الأقل — مع دول رأسمالية ولا بدّ كذلك من تحريك النزعة الوطنية في صدور الروسيين حتى يتسع الأساس الاجتماعي الذي قام عليه نظام الدولة الجديدة. وأما تروتسكي فكان مقتنعاً بأن تحقيق الدولة الاشتراكية المثلى في أقفر ما لا يمكن أن يتم إلاّ إذا انهارت النظم الرأسمالية في سائر الدول. ولذلك كان رأيه وجوب المضي في الدعوة الى الثورة عالمية

فما أقصى غير روسيا رأى على المرجح أن خير وسيلة لتحقيق رأيه هي السعي إلى إسقاط ستالين وتبوئه من مقام السلطان في روسيا. والغالب أن كثيرين من الشيوعيين القدماء كانوا يشاطرونه هذا الرأي. وبهذا التفسير المحدود كان تروتسكي متآمراً على متولي الحكم في روسيا — متآمراً مع أعداء روسيا — وكانت نهاية النازية أشدهم وأعنفهم حينئذٍ — وغير خفي

***

على أن تروتسكي كان يعتبر كاتباً ألمعياً من الطبقة الأولى. وفي تاريخه « الثورة الروسية » ما يرجح أن يكتب تاريخ روسيا الحديث من وجهة نظره الخاصة وبكل ما تقتضيه هذه النظرة من ذلك وجب أن يعتبر هذان الكتابان من أبلغ ما خلفه قلم رجل كان يشتهر بالقلم فيما يشتهر بالكتابة والتأليف

باب الأخبار العلمية

أمين الريحاني

فجع العالم العربي بوفاة علم من أعلام الأدب والفكر والاصلاح هو المرحوم المأسوف عليه أمين الريحاني وقد توفي بعد حادثة صدمته فيها سيارة عابرة

كان أمين الريحاني منشأ بليغاً باللغتين العربية والانكليزية ، حرّ الفكر والعقيدة ، يتوخى الاصلاح في كل ما يكتب وينشىء مؤمناً بقضية العرب ومستقبلهم السياسي والاجتماعي ولطالما شرع شباة قلمه للدفاع عنها في دير الغرب

نشأ أدبياً يكتب المقالات ويلقي الخطب فأحدث ظهوره هزة في البلدان العربية لانهُ كان صريحاً في الاعراب عن رأيه قوي الحجة بليغ العبارة في مكافحة ما يعتقدهُ فساداً يجب محوهُ واعوجاجاً يجب تقويمهُ . و«ريحانياته» تجمع أهمَّ هذه الخطب والفصول في جزئيها

ورحل الى الولايات المتحدة الاميركية حيث اتقن الكتابة باللغة الانكليزية حتى غدا يعدُّ من المنشئين البلغاء فيها . فنقل الى الشعر الانكليزي مختارات من الغناء بضعة وأربعين رباعيات من الغناء وأنشأ رواية « خالد » ونشر مجموعات من الشعر منها ديوان عنوانه « نشيد الصنوبر » وشعر كثير على الطريقة القصصية

ورحل الخطيب مرحلة من بر إلى حياته الحافلة كانت المرحلة التي تلت الحرب العالمية الماضية الى الآن فقد رحل الى بلاد العرب وزار ملوكها وامراءها وتجوَّل في بواديها وعلى سواحلها وغبَّ من أدبها وأخلاقها فخرج مؤمناً بمستقبلها اذا تولتهُ أيدي الاصلاح والرشد . ثم قام عنها سفيراً للعرب بشرق وثلاثة مجلدات في وصف رحلته هذه وهي « ابن سعود . بلاده وشعبه » . و« حول سواحل بلاد العرب » . و« بلاد العرب جبالاً وصحراء » واكثره عن اليمن وأودع هذه الرحلة في سفر عربي فذ عنوانهُ « ملوك العرب » واتبعه بآخر عن « فيصل » و« تاريخ نجد الحديث » . وكان قبل وفاته بُسعد كتاباً عن رحلته الى المغرب الأقصى

وكانت تستكتبهُ مجلة « آسيا » الاميركية وتوفيه ثمناً على مقالاته كما توفي اكبر المنشئين الاميركيين . ولم يرَ كاتب هذه السطور عدداً واحداً من مجلة أميركية فيه مقالان من قلم كاتب واحد الا عدد من مجلة « آسيا » اشهر من سبوت وفيه مقالان بقلم امين الريحاني . ان اميركة الغربية الناشئة الصغيرة تستقبل الآن صاحب القلم الذي وصفها كل خارطة اندنا بمقالته البليغ فيها . وقد وصفهُ الدكتور بشر فارس في مستهل مكتبه

القنابل المحرقة ومكافحتها

من أشد الأخطار التي تتعرض لها البلدان المحاربة خطر القنابل المحرقة . وهو خطرٌ يسهل تفاديه كما يسهل إجتناب ذلك القائم إذا عرفت الأسباب المتصلة في معالجة القنبلة المحرقة والطريقة التي تشبّ بها

القنبلة المحرقة صغيرة خفيفة الوزن لا تزيد على تسع بوصات طولاً وبوصتين قطراً فتستطيع الطائرات النافذة أن تحمل منها ألفاً الى الفين وفقاً لمسافة التي يتعين على القاذفة بجنبازها قبل القاء القنابل . فاذا كانت المسافة طويلة حملت القاذفة ألفاً من القنابل المحرقة وإذا كانت المسافة قصيرة حملت حتى الفين منها . وقد تلقى هذه القنابل فرادى بنفع الواحدة على مسافة ٦٠ او سبعين ذراعاً من الأولى . أو قد توضع في صندوق يشبه المقطف او السطوانة فينفتح الصندوق في الجو وتسقط القنابل منهُ في مساحة ضيقة وقد اشتهر هذا المقطف باسم « مقطف بروتوف » لأن الروس استعملوهُ أولاً في الحرب الحاضرة

القنابل لا تقع على الأرض عمودياً بل منحرفة فاذا كانت الطائرة على ارتفاع الفي قدم وكانت زاوية الانحراف ٤٥ درجة أي أن القنبلة قد تدخل من نافذة مفتوحة الى الحجرة واذا كان ارتفاع الطائرة أكثر من الفي قدم كان سقوط القنابل منحرفاً أقل انحرافاً أي أقرب الى السقوط العمودي

وفي القنبلة في داخلها من سطوانة فيها مادة تدعى «الترميت» وهي مادة شديدة الالتهاب فاذا التهبت ولدت حرارة درجتها ٢٥٠٠ مئوية

وليس في الوسع اطفاء هذه المادة متى بدأت تشتعل لأنها تستمد اوكسجينها من نفسها فتسرها بالماء تقطع الاكسجين عنها لا يجدي . ومدى احتراق هذه المادة قصير لا يزيد على أربعين ثانية الى خمس وأربعين ولكن الحرارة كافية لاشعال غلاف القنبلة الخارجي وهو خليط من المغنيسيوم وقليل من الألومنيوم فاذا اشتعل ولد حرارة درجتها ١٥٠٠ مئوية ولكن مدة اشتعاله نحو نصف ساعة

والخطر في أثناء اشتعال الغلاف الخارجي مردهُ الى شرر يتطاير منها مسافة عشر اقدام الى ٥٠ قدماً فيعلق بكل مادة قابلة للاشتعال فتتولد حرائق صغيرة هنا وهناك فاذا لم تطفأ اتسع نطاقها واذا كانت الريح تهب فانها قد تمد نطاق النار الى المنازل المجاورة

ولذلك يجب ان يزال من السطوح والشرفات كل ما كان قابلاً للالتهاب، والنأهب لمكافحة القنبلة المحرقة بأنجع وسائل مكافحتها وهي إما الرمل وإما الماء

ولا يكفي ان تغطى القنبلة بالرمل اذا وقعت على سطح مصنوع من الأبرق او الصفيح المسيح ، لأنه اذا لم تزد سماكة السطح عن ثلاث بوصات ونصف بوصة ، فان القنبلة قد تخترقه بذلك يجب أن تأهب لها بإعداد

دلو (جردل) مملوء رملاً ومجرفة طويلة الذراع. فاذا وقعت القنبلة وبدأت تلتهب فرشنا قليلاً من الرمل وجرفناها بالمجرفة اليها ثم نقلب «الجردل» على جنبه قرب القنبلة ونجرفها الى داخله ونغمره ثم نغطيها بالرمل

أما الماء فيجب ألاّ يصب عليها صبًّا. لأن ذلك يؤجج نارها ويزيدها قذفاً للشرر. بل يجب أن ترش بالماء رشًّا. وخير وسيلة هو استعمال المضخة التي تنفخ بالمجلات الدراجة توضع في حوض من الماء ويمسك انبوب المطاط الممتد منها بين اصابع اليد ويوجه الماء المتقذف رذاذاً منهُ الى حيث القنبلة فتقصر مدة اشتعالها بدون ان يتطاير الشرر منها. واذا لم يكن هناك مضخة لهذا الغرض فاملأ كوباً من الماء وضع أصابع يدك عليه ثم رش القنبلة بمائه. ومما يجب الاحتراس منهُ في هذا الصدد ان استعمال الاسطوانات الخاصة المعدة لاطفاء الحريق ممنوع بتاتاً. اذ تتحد المادة التي في هذه الاسطوانات بمادة القنبلة فيتولد «غاز الفوسجين» وهو من أشد الغازات السامة فعلاً

مصير جوائز نوبل

هل توزّع جوائز نوبل هذه السنة؟ سؤال يهمّ جميع منتجي ارتقاء العلم وازدهار الأدب والسعي الى توطيد اركان السلام. وقد درجنا على اعتبار العلماء والأدباء ودعاة السلام الذين يفوزون بجوائز نوبل في المنزلة الاولى بين المعاصرين. وقد بلغ المال الذي وزّع على نائلي جوائز نوبل منذ بدىء في توزيعها سنة ١٩٠١ نحو خمسة ملايين من الدولارات

اما جائزة السلام فللمرجّح الذي في حكم اليقين الامتناع عن منحها هذه السنة لأن منحها في يدي لجنة خاصة من مجلس نروج النيابي. ونروج الآن في قبضة الالمانيين. والمرجح على كل حال متكرر لهذه الجائزة منذ منحت في سنة ١٩٣٥ لكارل اوسيتسكي الالماني عند ما كان معتقلاً في المانيا. وقد توفي بعيد ذلك

أما منح جائزتي الكيمياء والطبيعة ففي يد أكاديمية العلوم الأسوجية، ومنح جائزة الأدب في يد الأكاديمية الأسوجية. ومنح جائزة الطب والفسيولوجيا في يد معهد كارولين الطبي الجراحي في استوكهلم. ولا يعلم هل تقرر هذه المنشآت توزيع الجوائز عن سنة ١٩٤٠ فاذا رأت حائلاً يحول دون ذلك فلها ان تؤجل منحها. وقد حدث قبلاً ان أجل منح جائزة ما من هذه الجوائز فمنحت متأخرة في السنة التي تليها او امتنع عن منحها بتاتاً وأضيفت قيمتها الى رأس المال

هل تعلم

* أن الأرضة تعيش خمس سنوات إذا لم تمس بأصابة ترضة

* إن أعمق ما بلغهُ غواصة لا يزيد عن ثلاثمائة قدم

مخترعات الحرب

١ — منطف أو سلة مونوتوف

لا يزال العلماء والمتدسون والكيميائيون في جميع أرجاء العالم في العمل وانحت لاكتشاف و اختراع عتاد أو سلاح جديد للحرب، إما من أسلحة الدفاع وإما من أسلحة الهجوم وإبلاغها أوج الكمال، فطفوا دائبين في جهدهم هذا عدة أعوام. بيد إن ثمرة هذا الجهد لم تظهر فعلاً لا حين سكتت المدافع وتشاق الحسام. ولا جرم ان يكون أغلب ذلك العمل متعلقاً بالحرب الجوية. وقد ظهر من قبل كثير من المخترعات الجديدة التي من هذا القبيل. وقيل إن لروسيا القدح المعلى في ذلك الميدان اذ اخترعت أحد تلك الأسلحة، ونقصد به السلاح الجوي الذي أطلق عليه الفنلنديون اسم « سلة مونوتوف » لتخيل [illegible] ويؤلف ذلك السلاح من أسطوانة جوفاء طولها ثماني أقدام وقطرها ثلاث أقدام وقد ركبت مروحة في أحد طرفيها. فاذا ما أدنت إحداها طائرة من طائرات الجيش الأحمر. النافذة بالقنابل، قامت مروحتها بادرة الاسطوانة دورة ينجم عنها دفع جوانب تلك الاسطوانة فتنطلق محتوياتها وهي مؤلفة من ألف قنبلة محرقة صغيرة وحالما تقذف القنابل تنتشر على سطح الارض بقدر معلوم. ومع ما يروج لنا من فضائل هذا السلاح يرهب فريق من الناس في غير بلدي خبراء من جنود الجيش الأحمر

وجاء في برقيات جريدة الأهرام الصادرة في ٧ سبتمبر سنة ١٩٤١ ما نصه عن هذه السلة ووصفها وهاكما بأتي : —

في أثناء الغارات الألمانية الواسعة النطاق على بريطانيا وهي التي قامت بمعظمها ليلة أمس طائرات منفردة. ألقت سلة خبز مونوتوف في إحدى مناطق لندن حيث شوهدت أول مرة أضواء عجيبة في الجو. وهذه السلة تتكون من علاقة كبيرة مملوءة بنحو مائة قنبلة محرقة في صفين، ثم تلقى على الأهداف بواسطة انفجارات تحدث فيها تكون العلاقة سابحة في الجو. ثم وصفت الاهرام في الصفحة الاخيرة من ذلك العدد نفسه السلة عينها فقالت : —

في برقيات اليوم إن الألمانيين استخدموا أمس سلة مونوتوف لأول مرة في هجومهم على لندن، وهو سلاح جديد أخذه الألمانيون عن سلاح الصيران الروسي الذي استخدمه لأول مرة في حرب فنلندا في أوائل هذا العام. وقد أطلق الفنلنديون على هذا الاسم نسبة الى وزير خارجية السوفيات ورئيس وزرائها في ذلك الوقت. وهذا السلاح مؤلف من قنبلة صغيرة حجم فيها تحت علاقة ثلاثة صفوف من القنابل المحرقة الصغيرة يبلغ عددها نحو مائة قنبلة. وقد ألقيت هذه القنبلة الضخمة من الطائرات في مؤخرتها

مروحة تحت الهواء دورات معدودة ، يفتح بعدها علاف الفتيل فتتأثر الثنائيات الحديدية منها وهي لا تزال في الجو

٢ — الطوربيد الأحوى

ومن الأسلحة الجوية الرهيبة نوع آخر من القنابل المدمرة يسمى الطوربيد الأحوى [illegible] وقد اخترعه مخترع ذو ذهن خصب . وذلك إنه دهش إذ تبين الحقيقة الراهنة وهي أن أسلحة الدفاع القوية المقاومة للطائرات لا يتيسر لها في الغالب اصابة أهدافها مائة في المائة . ومن الميسور أن يصير هذا الطوربيد الجديد مهلكاً عند احكام رمايته إذ انه هو نفسه يسيطر على مسيره الى هدفه . وليس هذا الأمر ببدعاً عن المعقول كما يبدو لنا أول وهلة لأن تلك السيطرة الأوتوماتيكية تحدث بطريقة ميكانيكية جد . واليك وصفها : —

وراء رأس الطوربيد وعلى مقربة منه جناحان مركب فيهما لعبتان الحولاوان الثان اشتق اسمه منهما وهما مرآتان مقعرتان موضوعتان في متحرف خارجي ، وهو مجهز بالأشعة التي تحت الحمراء أي الأشعة الخفية ولما كان الغرض الأساسي من استخدام الطوربيد الأحوى ، تدمير الأدران ذات الأرواح ، فان تلك العين تفقد أعظم النفع وبما أن تلك الأدران تنظم الحرارة البشر لتوليد الحرارة الخفية ، فإن العين تصيب هذه الأشعة المرتين الحساسين الشديدين بها . تتحول منها الى بطاريات كهربائية حساسة بنصوء ، فتقوم هذه بالتحكم في المحرك الكهربائي الصغير المخصص لتصحيح أخطاء الملاحة الجوية

***

وقد ثبت أن الضباب والسحاب لا يحولان دون قيام ذلك السلاح الجوي الجديد بعمله الرهيب ومن ثمة يستطيع دائماً شق طريقه الى هدفه وان سقط على الأرض بمكان منه ، لأنه لا يسقط عليه عمودياً بل يشرع في رحلته التدميرية منزلقاً نزلاً هادئاً ، حاملاً في الجو مفرقعات شديدة الانفجار ، تبلغ زنتها عشرة آلاف رطل بحكمة التوزن ، تقلع طائرات من الطائرات الحديثة الطراز فتلقي الدمار في أشد ضحاياها المرتقبين . ولا غرو والحالة هذه اذا عمد النازي الى نقل مصانع الذخائر والأدوات الحربية من مواضعها الأصلية الواقعة في مناطق القتال ، الى جهات أخرى تبعد ما أمكن عن ساحات الوغى

***

وما حدث في الجو حدث في أعماق الماء . فالاساليب التي عمد اليها النازي في غواصاتهم واستعمالها لتدمير السفن تفوق ما يضاهيها وما لاشك فيه ان الأقلام البريطانية الحديدة غدت مصدر الهلع لسكان غواصات الأعداء — النازي

وأغرب ما سمعنا حدثاً في استخدام بعض الأسلحة الجديدة التي توصل بها الى اختراع الخلفاء ، بيد أن أغرب الأشياء التي سمعت بشأن القاذفات الجديدة التي تسمى البلدن

والمدن ، وكذلك القنابل الجوية التي تبث جراثيم الطاعون او تعوّم الناس . وغيرها من مزاعم الالمان ، انما هي جزء من حرب الاعصاب التي لا جدوى منها ثم المدفع الفرنسي الحديد البعيد المرمى ، وهو من أعظم المدافع التي ظهرت في الحرب الراهنة إذ يبلغ مرماه عشرة أميال وهو يصيب هدفه اصابة محكمة ، مثل سلفه مدفع ٧٥ المشهور بعدا الى سهولة تنقيله من مكان الى آخر الى أقصى حد ، وهو لايحتاج الى حفر عميقة عند اطلاقه

٣ — إطارات مطاط لايخرقها الرصاص

ومن المخترعات الحربية الأنكليزية الحديثة اتافة عملاً لتجيش الانكليزي إطارات السيارات التي لا يخرقها رصاص البندقيات ، فأصبحت بريطانيا العظمى الدولة الوحيدة التي تفاخر بذلك الاختراع

ومن المدهش جداً أنها ليست من النوع الصلب ، بل اللين الذي ينفخ بالهواء ومن البديهي أن العناصر المؤلفة لهاتيك الاطارات الداخلية والخارجية مازالت سراً مكتوماً لا يمكن إفشاؤه

وجاء وصف هذه الاطارات في جريدة الاهرام إذ قالت في ٣٠ دسمبر سنة ١٩٣٩ في برقة لها من لندن بتاريخ ٢٩ ك ١٢ « ٣٩ ميلادي : — خرجت المصانع البريطانية بعد جهد متواصل وإختبارات دامت حوالي عشرين عاماً [illegible] من سكاوتشوك [illegible] لايخرقها الرصاص ، مما يعدّ فتحاً مجيداً في عالم السيارات

وقد تم تجهيز جميع سيارات الجيش البريطاني الخفيفة بهذه الاطارات الجديدة وكان الجيش يستخدم إطارات غير منفوخة في سيارات النقل (اللوريات) التي تتراوح سرعتها بين خمسة عشر وعشرين ميلاً في الساعة وذلك في أثناء الحرب الماضية . وغالباً ما كانت تتأكل هذه الاطارات بتأثير السرعة . أما اليوم فأن هذه السيارات قد جهزت باطارات منفوخة مع أن سرعتها تبلغ حوالي خمسين ميلاً في الساعة

٤ — أمادة متفجرة جديدة ؟

ومن أهم ما يذكر بشأن المخترعات الحربية المادة المتفجرة السرية التي جرّبت في ألمانيا سنة ١٩٣٤ وهي المشهورة باسم رقم ١٧ فطر. ومخترعها المانّي اسمهُ جبريل بمريخ Gabriel Bigueriech وهو الذي خطفهُ النازي المتعصبون في تلك السنة ثم سجنوه في المعتقل الهائل في داشاو حيث انتحر قبل تمكن النازي من اغتصاب اختراعه منه . ثم قيل ان ذلك الاختراع مات بموت صاحبه ولكنهم كانوا مخطئين إذ ان الباحث التي قام بها علماء الألمان بعقب القاء القنبلة على هتلر وهو في مشرب البيرة في مدينة ميونخ، حيث كاد يقتل أثبتت لهم ان المقذوف الغريب الشديد الانفجار الذي استعمل فيها انما هو المادة المتفجرة رقم ١٧ المشار اليها [illegible] وض حقير

السفائة من الاستنت المسلح

(الأبرق المسلح) استغناء به عن الفولاذ والحديد

كان من أثر تعذر الحصول على الصلب والحديد في أواخر الحرب الكبرى الماضية أن عمدت بعض الدول مثل انكلترا وايطاليا والنرويج والولايات المتحدة الى استبدال الاستنت المسلح عن هاتين المادتين ، في صنع السفن . فبلغ ما أنشىء منها حتى سنة ١٩٢٢ نحو مائة سفينة وصلت حمولة بعضها الى ٦٥٠٠ طن . ومع انهُ لم تصنع سفن بهذه الطريقة منذ سنة ١٩٢٢ الا ان مهندسي هذا الفن الجليل لم يقفوا بحوثهم ، بل واصلوها حتى استطاعوا ان يرفعوا قوة احتمال البوصة المربعة من الاستنت المسلح من ١٦٠٠ رطل الى ٢٧٠٠ رطل . وقد أذيع أخيراً ان الحكومة البريطانية قررت صنع عدد من السفن الكبيرة بالاستنت المسلح ، بعد أن ثبت ان نفقات صنع السفينة منهُ تقل ٣٥ ٪ عن نفقات صنعها بالصلب والحديد . وذلك عدا ما أثبتتهُ التجارب من أن سفن الاستنت المسلح أقوى على تحمل ضغط الأمواج في البحار الهائجة من سفن الحديد . (ابريل ٢٩ ٪ ٨ ٪ ١٩٤٠) قرأت هذا النبأ فتذكرت نوعاً من الشباك شرعته في شبابي منذ ثلاثين سنة في هذا الموضوع فآثرت أن أقيس منهُ بذة كتبتها في مجلة المحيط لصاحبها المرحوم الاستاذ عوض [illegible] في جزء يونيو سنة ١٩١٠ حيث قلت :

حامت أفكار المخترعين منذ قرنين أو أكثر حول صنع السفن من الحديد المتين بدلاً من الخشب ودعت أفكارهم وعلت آراؤهم ، بين معاصريهم الفقهاء ، حتى سخر منهم العوام ، وازدرى بهم الجهلاء . وليس هذا بغريب حين ظهور كل اختراع عجيب ، لأن الناس ما برحوا في كل زمان ومكان لا يفقهون أول وهلة ، كل عمل لم يألفوه وفكر لم يطلعوه .

اخترع باپين سنة ١٧٠٧ ميلادية أول سفينة بخارية تسير بالبخار ، الماشيء من الماء والنار ، فصدق الناس ما سبقوا اليه وعلموا من الأمر ما جهلوهُ . وكذلك حدث مع مخترع السفن التي تصنع بالاستنت المسلح

واخترع منذ عشر سنين مهندس ايطالي يسمى جابليني سفناً من الاستنت المسلح ، وعرض اختراعه على حكومته الايطالية وبعض رؤساء البحرية في مدينة روما فلم يرفهم لاختراع ولم يعر منهم قبولاً في أول أمره سوء حظ مخترعه . ولكن قررت أخيراً شركات سفن الشحن وشهر مدينة الزوارق إنَّ [illegible] جابليني جديرة ، والتشجيع والاقبال عليه جدير . فاثبت هذا القول بعد أن سرت غور الاختراع وتحصنهُ فتبينت سمه وقد [illegible] على نجاح مشروعه [illegible] حتى بلغ مبلغه وان [illegible] لاحق ان

يبيع مثل هذا الرجل في بلاد الجندولا ! وهي زوارق ضيقة مستطيلة معدل طولها ٣٠ قدماً وعرضها أربع أقدام ! تمخر قنوات مدينة البندقية في ايطاليا)

فقد دنّ الاختبار أن سفن جابلبي كلما طال بقاؤها في الماء ، زادت متانة وصلابة على عكس السفن الحديدية فانها تصدأ وتسرع تلفها ، وانها أقل استهلاكاً للفحم وأسرع سيراً لصقالة جدرانها ونعومتها . وكانت باكورة أعمال جابلبي السفينة النقالة الصغيرة المسماة إضورا التي أنشأها سنة ١٩٠٢ واستخدمت من ذلك العهد الى الآن في الاعمال الهندسية البحرية في نهر التيبر الواقعة عليه عاصمة إيطاليا

ولما أتيح للمخترع النجاح أعاد الكرّة منذ سنتين فصنع في هذه المرة سفينة اكبر من الأولى إذ تبلغ حمولتها ١٥٠ طناً وتدعى هذه الباخرة الثانية ليجوريا . وقد ظنّ رؤساء البحرية في بدء الأمر أنهُ ليس لهذا الاختراع نفع محقق ، فلم يحفلوا به وكرروا له قولهم « إن سفينتك ضعيفة لا تتحمل الصدمات العنيفة ، اذا ارتطمت ، غرقت ، واذا صدمت تحطمت ، واذا خرقت ، غرقت » أما هو فكان يجيبهم بقوله لهم « لا تلقوا القول على عواهنه بل عليكم بالامتحان وهو محك الأمور » . وها أنباء الأمر أقدموا على هذه التجربة وهي أنهم أبقوا الباخرة في عرض البحر وتعمدوا بالرماة تسديدها عليها طراداً صحيحاً منجياً مع [illegible] لصدمها بقوة ، فعاد صدمة هائلة فلم تأثر أقل تأثير . فأدهشهم ذلك جداً ولم يبق عندهم أي شك في فائدة هذا الاختراع ثم هنأوه بذلك النجاح وطلبوا اليه اعداد أربع سفن

وكان جابلبي قد فكّر في اختراعه هذا من سنة ١٨٩٧ لحرب ، ولما عمل سفينة من الأسمنت المسلح ثم غمرها في الماء سنتين وبعد ذلك ألقى مرساتها في مرفأ أنزيو (جنوب روما على البحر الابيض المتوسط) نحو أربع سنوات ثم نقلها الى قعر روما حيث مكثت خمس سنوات في نهر التيبر فلم تؤثر مياه البحر في جدرانها ولم تحتج الى زيم ، فعقد النية على مواصلة صنع السفن بهذه الطريقة

***

وفضلاً عما ذكر من ميزات سفن جابلبي فانها لا تحتاج في صنعها الى قوالب عالية الثمن بل يكتفي في صنعها باستعمال شبكة معدنية خفيفة يتمكن بها الصانع من تكييف مواد البناء كما يشاء . ثم يصب عليها المواد حتى يحصل على الثخانة المطلوبة . زد على هذا أن صنع هذه السفن الغريبة لا يحتاج الى [illegible] من الماهرين كالذين يستخدمون في صناعة السفن المعتادة . ثم إن كيفية إنزالها في بحر المتوسط سهلة بسيطة وذلك لأنها تصنع في حوض عوم مصنوع من الأسمنت المسلح [illegible] حين يتم صنعها يفتح طرف الحوض في البحر ، فتشق السفينة عباب اليم بمكر النواخذ [illegible] فانها تحتاج الى ميناء [illegible]

مكتبة المقتطف

وادي الغريكة [1]

« السكينة بعد العواصف » والراحة بعد التعب ! — طوّف أمين الريحاني في مسالك الدنيا وشرّق وغرّب حتى ملّت نفسهُ بهرج المدينة وفرّ من « الهيئة الاجتماعية الواقفة على شفر هاوية » فتن » وأوى الى ذلك الوادي « حيث تمتد الأعناق وتحني الرؤوس وتضغط الحدود بعضها على بعض » . عاد الى « الطبيعة » كما عاد اليها روسو من قبل ، وهو مقتنع كالنفس نعمه ان الطبيعة « لا تظلم بشيء مهما اشتد غضبها » فان هطلت الأمطار وعصفت الريح فمن يمنك او يسارك مغارة حقيرة قائمة هنا لتدفع عنك الغضب ، ألا ترى الى الطبيعة كيف تعنى بالمخلوقات الضعيفة أمثال الأزهار والأوبار تسترها في المآكم الخشنة بين الشوك والشوك وتحت الصخور ودون الحجارة والأنافي فترد عنها قوة الشر وصولة الحيوان ؟

عاد أمين — رحمهُ الله — الى وادي الغريكة عودة الروحاني الملتاح : أصاب في المدن أخاه الانسان وعرف الاغبياء والفقوط ولمس الضجيج والزحم حول ما هو زائل زائف فهرول الى الطبيعة يطلب الخالق العظيم ويرغب في التفكر والتأمل والتقاط والتعزم . ويود ان يصل الى اللذة الروحانية المطلقة وإن مزّق الشوك ثيابه وصفع المطر خديه . فالى النجم والدم الى جانب الروح ؟ ومشى الريحاني كشن « الخشاشين والنودين » يطلب النشوة تعلوا فيدع أرج الشجر وشذا الارض يلقان من أعصابه كل ... ثم يطير بعد ذلك في آفاق لا بدية قد تتحد روحه بما تحوطه فتضطرب في عماء ما في الوادي من ظلال وخيالات وكهوف وصخور وأنهر وطيور وكذلك صنع من قبل ، وهكذا ... فكر نعم ويشكو وعلى هذا حكاه هذا أصحاب التأمل الاسمى . واتحاد الروح بالطبيعة هو مرقاة النفس . لأن الفكر هو الفكر الذي يصبح طبيعة بالفكر الذي ينتج من جلال الطبيعة . والروح والفكر من معدن واحد بعد عابد الفلاسفة ودانا عند الصوفية . ومن اتحاد الطبيعة بالفكر عند الفلاسفة الذين هو نظرية : كانت في علم الجمال

---

[1] الكتيبة ... من مجلة هذا العصر من ا...

مثل هيجل وشلنج . خرج المذهب الابتداعي في الأدب ثم خرجت التأثرية والتعبيرية وبها يقصد الفن إلى مزج الحقيقة الخارجية بالحقيقة الباطنة ، وخرجت الرمزية وبها يستنبط ما وراء الحس من المحسوس

والريحاني أوى الى وادي الفريكة مستلهماً يبحث عن الحقيقة الأزلية ، مطّرحاً الخرافات والتقاليد والأوهام ، منصرفاً الى سماع ألحان الطبيعة كما صنع بيتوفن من قبل . منطوياً على نفسه كتلك «النباتات الجبلية الرقيقة تنبت وتنمو وتزهر وتذبل دون أن يلمسها بشر ... تعيش لنفسها وللطبيعة فقط» . ولكن الريحاني لا يكفيه أن يعيش لنفسه وللطبيعة فقط ، لأنه فياض الشعور محدّث القلب ، فلا بد له من البشر لا طلباً للأنس ولكن رغبة في أن يقول لرفيق «ان الزلة جبلة» . انفرد الريحاني بنفسه وبحث عن أعماق الناس بطائفه وروائعه . ألم يقل طاغور «المنفرد بنفسه عدم ، وانما الآخر الذي يجعله حقيقة»

بشر فارس

ديوان ابن الساعاتي

الجزء الثاني ، عني بتحقيقه ونشره أنيس المقدسي استاذ الادب العربي في جامعة بيروت الاميركية ، ٤٣٠ صفحة من قطع المقتطف — المطبعة الاميركية في بيروت

أخرج العلامة الاستاذ أنيس المقدسي منذ عامين تقريباً الجزء الأول من ديوان ابن الساعاتي بعد أن حقق أصوله وراجعه على عدة نسخ خطية نفت يد التحريف والتصحيف في معظم صحائفها فردّ ألفاظه الى أصولها وشرحها شرحاً وافياً ، وقدّم له بمقدمة رائعة عرض فيها حياة الشاعر ونشأته وحلّل شخصيته وشعره تحليلاً دقيقاً، وقد نشرنا تلخيصاً وافياً لتلك المقدمة في هذه المجلة في عدد مارس سنة ١٩٣٩

وابن الساعاتي هو الشاعر الموصّاف بهاء الدين ابو الحسن عليّ بن رستم بن هرمز الخراسانيّ الذي اتصل بكثير من امراء الايوبيين ورجالهم من أعلام عصره ، ونظم الكثير من المدائح فيهم وهو « فنّان ماهرٌ طويل الباع في استخدام الالفاظ للتعبير عن مقاصده ، واسع الحيلة في التلاعب بالمعاني البيانية . ولا شك انهُ في ذلك ، وفي المديح خاصة ، يقف في الطبقة الأولى من شعراء العصر العباسي »

وهذا هو الجزء الثاني من ديوانه يخرج للناس بعناية الاستاذ المقدسي وحقيقة كتابه وانهُ من حسن حظ هذا الشاعر أن يظفر بديوانه بعد عدة قرون بعناية عالم كبير له مكانته في عالم الأدب ، فلعلّ حظوظ بعض الشعراء الآخرين تواتيها الفرصة التي اسعدت ابن الساعاتي فيظفروا من الأستاذ المقدسي ببعض هذه العناية فتكون حسنة من حسناته الكثيرة التي يسديها الى الأدب العربيّ ، وهو خير من يقوم بمثل هذه الاعباء

سيد

ديوان البارودي

قدم له بمقدمة دراسية بليغة معالي الدكتور هيكل باشا وضبطه وشرحه الاستاذان علي الجارم بك ومحمد شفيق معروف وصححه ووزارة المعارف المصرية على نفقتها في مجلدين ضخمين

البارودي شاعر تستطيع مصر العربية الحديثة أن تطاول به — عن جدارة وحق — شعراء العربية الموزعين على شبه الجزيرة والعراق والشام والأندلس في مختلف العصور سواء أقبل الاسلام كان ذلك أم بعده

وأي نفس عربية تجري على السليم من الفطرة ، والخالص من الطبع ، والرقيق من الاحساس لا ترى في هذا الشاعر الكبير نفحات المتنبي ، ومومضات مشرقة مضيئة من ومضات ابي تمام ، ومسحات رقيقة من صنع البحتري ، ومعة عالية من همة الشريف الرضي ، ومطارح بعيدة من مطارح أبي فراس ، وجرساً عالياً مدوياً من جرس ابن هانيء ؟

لقد اجتمع في البارودي الجركسي المصري كثير من ذلك كله ، وأنت حين تقرؤه يخيل اليك أنك تقرأ الديوان من شعر العرب على اختلاف نمطيه وتباين مناحيه . ففيه البداوة والجزالة إذا شئتها ، وفيه الرقة والسلاسة إذا التمستها ، وفيه غير ذلك كثير مما تكشف عنهُ المطالعة ، وتدل عليه المراجعة

ومن الحق أن نقول أن البارودي هو أول شاعر جرى بمصر إلى غاية عقدت لها الصدارة في الشعر بعد أن كانت فيه تبعاً . فشعراؤها منذ الفتح العربي إلى أيام البارودي — وهي حقبة طويلة — لم يمتازوا بالفحولة ، ولا عقد لهم في القصيد لواء ، ولم يتسامو إلى مراتب الفحول . ولسنا هنا نتجنى عليهم أو نهضمهم حقهم ، وانما هو الحق والواقع

نعم لقد كان في بعضهم كثير من الاحسان ، وكان في جميعهم كثير من رقة . ولكنهم لم يستطيعوا أن يجعلوا للشعر المصري مدرسة خاصة تطبع شعراء العرب على غرارها . ومن مجيديهم عمارة اليمني وابن قلاقس وابشاد الظريف والبهاء زهير . ويليهم الخشاب وصفوت الساعاتي والشيخ محمد شهاب الدين وأبو الفرج الدمهوري والشيخ أحمد وفي وغيرهم . فقد قال هؤلاء وهؤلاء شعراً إلا أنهُ كان محدوداً ضيق النطاق . وكان بعضه يتميز بما فيه من لكنة أكثر مما فيه من قوة . وكان أقله يمتاز بما فيه من رقي وتحسينات أكثر مما فيه من معنى عميق أو حس رقيق أو تصوير دقيق

وحفظ ديوان البارودي في المكتب كحفظ البارودي نفسه في التاريخ السياسي لمصر — فهو الصدر في الوزراء ، وديوانه الصدر في الدواوين . وقد طبع مرة قبل ذلك في ثوب قشيب ، ثم ت الأقدار أن يطبع ... ك في ثوب أكثر جدة ... وأحسن زينة ، وأرق ... ، وأوفى

شرحاً . وحسبه موافاة حظ ان يكون كاتب مقدمته وزيرٌ جمَّ العلم ، وحلاَّه الأدب ، وقامت المعرفة على شباة قلمه . وان يكون أحد شارحيه شاعراً غنّى فأعجب ، وأنشد فأطرب . والكتب كالعباد تدور عليها الحظوظ ، وتقسم عليها الجدود

لقد وفق معالي الدكتور هيكل باشا الاديب في تقديم محمود سامي البارودي الشاعر توفيقاً ينبطهُ عليه كل من تعرض لتاريخ الأدب او لتراجم الرجال . والحق ان المقدمة التي كتبها للديوان دراسة تحليلية للبارودي وشعره . فيها كثير من عمق هيكل ، وفيها كثير من لمحاته الأدبية ، وفيها كثير من الاستقراء الذي تمتاز به مباحثهُ ، وفيها كثير من البيان الأبي الطبع في غير سماجة ولا معاصاة . وحبذا لو تفضل صديقي الأستاذ فؤاد صرُّوف محرر المقتطف فنشرها لنا — على طولها — حتى يتاح لمن لا تقع لهم نسخة من الديوان الجديد أن يستمتعوا بما فيها من تاريخ وأدب

أما شرح الديوان فقد استفاض الى حد خشينا معهُ أن ينقلب الكتاب معجماً من معجمات اللغة ، فقد فسرت كلمات كثيرة مألوفة معروفة ، ولعل الشارحين الفاضلين يعتذران بأن الديوان طبع طبعة مدرسية . ولكنهُ بغير من ذلك جهد يستحق الثناء الجم ، فقد جلبا كل غامض ، وسهلا كل صعب ، وقدَّما الديوان في شرح ذلّ له جماح المعاني ولان عسيرها

وليس من سبيلنا الآن التعرض لنقد شعر البارودي أو الكلام في أسلوبه وأغراضه ومعانيه ، أو التحدث عن الطابع التأثري في شعره ، أو شرح النوازع التي مالت به ، أو ايثار بعض فنون من الشعر على بعض ، أو أن ننوات التي السبع عشرة في شعره الحنيني فان مقدمة هيكل باشا — لو نشرت — فيها عرض وافٍ لهذه الموضوعات

محمد عبد الغني حسن
مدرسة الخديو اسماعيل

تاريخ حمص

من علامة التاريخ ... في الخوري عيسى أسعد

حمص إحدى مدن سوريه الكبرى ، وقد جعلها موقعها الممتاز في حاشية سهل فسيح لدى نهر العاصي ملتقى طرق التجارة من جميع الجهات ، ممرأ فرحتين من كل صوب ، ومطمعاً للغزاة من كل ناحية ... ما دعا ان تكون هي وما حولها من مدن مجورة لها دارت تأثير كبير في حياة الأمم المجيطة بها ... سوى انتعافية من حوفها ، وان تكون من أقدم مدن الشرق وان يكون تاريخها أحفل بالحوادث من أكثر المدن السورية ... فمن تاريخ لأي مدينة في أصقاع الشرق الأدنى يمكن ان يخلو من ذكر حمص

فهي المركز الذي تتجه اليه جميع أمم الشرق وتتفاعل فيه جميع قوى الشرق وتتفرع منه جواذب المدنية والعمران

هذا ما يستخرج من تحليل تاريخ حمص كخاصة ومملكة بما يشبهها مما حولها من البلاد في جميع العصور التي تقلبت عليها وجميع القوات السياسية التي تداولتها وجميع المطامع الدولية التي تعاقبت فيها

إذن لا غرو ان يكون تاريخ حمص شاملاً لتواريخ جميع أصقاع الشرق من دلتا مصر الى دلتا العراق ومن الخليج الهندي الى البحر الأبيض المتوسط

هذا هو محتوى تاريخ حمص الذي ألفه العلامة الأب عيسى اسحق (الحمصي) فتناول القسم الأول منه ما كان من بدء التاريخ الى صدر الاسلام نحو ٤٥٠ صفحة من القطع الكبير . فمن يطالع هذا السفر الخطير يرى انه يطلع على تواريخ جميع الأمم التي تعاقبت والتي تناصرت في بلاد سوريا وفلسطين ومصر وجزيرة العرب وما بين النهرين وما يليها من الأناضول وكل انه بل بجوانبي بلاد فارس واليونان والرومان

هو تاريخ الشرق القديم ، وتاريخه الحديث سيكون القسم الثاني في مجلد آخر معدّ للطبع ! والمطالع هذا التاريخ العظيم يدرك من مزاياه العامة والخاصة :—

أولاً : انه ليس تاريخاً لسرد الحوادث المتعاقبة والمتصادمة فقط بل هو فلسفة للتاريخ الشرق أيضاً . وقد ضبط المؤرخ فيه الأسباب والمسببات وحلل روابطها

ثانياً : انه ليس تاريخاً سياسياً اجتماعياً فحسب بل هو تفصيل لتطورات الحضارة والارتقاء المدني في الشرق وتنازع حضاراته وتضارب تقاليده

ثالثاً : إن كل بحث فيه مستند الى أسناد تاريخية وثيقة ومصادر ممحصة تمحيصاً دقيقاً . وهذا يشهد للمؤلف باختصاصه في التاريخ وسعة علمه — فكأنه بحر عرفان متدفق

رابعاً : انه مجموعة نفيسة لسير (بيوغرافية) أشخاص تاريخ الشرق ومجموعة ثمينة لوصف آثار الشرق وأماكنه

وأعترف بصراحة أني إذ كنت أقلب هذا السفر الفاخر الخطير كنت أشعر أن المؤلف كأنه قضى حقبة طويلة من الزمان و بضعة أعمار حتى استطاع ان يركز هذه المعلومات التي لا تكاد تحصى والمتبددة هنا وهناك ، وان يبوبها ويفصلها ويفصلها هذا التفصيل المنطقي العلمي السليم

لا أستطيع ان أصور بالقلم قيمة هذا الكتاب كما هي . فحجزت عن التفصيل بهذا الاحجام تاركاً تقديم الحكم بقيمته ومنزلته في عالم الأدب والعلم لقول الجماد

الخائنون ونفرتيتي

مسرحية من الشعر المرسل

للاستاذ علي أحمد باكثير خريج معهد الترجمة الملكي — مطبعة الشرق بالعجالة ونشرته مكتبة الطالبي — صفحاتها ٢١٦ من القطع الصغير

قرأت هذه المسرحية المتعة مرتين : مرة للنقد حين تفضل مؤلفها الفاضل باهدائها اليَّ ومرة للتمتع حينما كلفت الكتابة عنها . وقد يكون من الأمور ما تحل عادته الاَّ أن هذه المسرحية مما تحنو بالتكرار وتلذ بالعاودة من حين الى حين . وذلك سر مخبوء في حلاوة سردها ولقد كنت افهم السر في حلاوة الحديث فلما قرأت هذه القصة فهمت السر في حلاوة الكتابة ..

ومؤلف طريقة في النظم جرى عليها ، ودعاها دعوة المؤمن بها . فليست هي من الشعر المألوف ، وليست هي من النثر المعروف وانما هي شيء بين الشعر والنثر ومرحلة بين الأنحاز والسجع

وليس في هذا الكلام مبالغة أو غلو . وليس فيه اغراق في الخيال أو اسراف في التقدير وانما هو الحق بعينه . فقد أبدع المؤلف في حبك الرواية حبكة لا نجد فيها تناقضاً ولا اضطراباً . جرت في أسلوب أغرب ما فيه أنه رقيق ورصين

في هذه المسرحية نواح كثيرة من الجمال . فموضوعها جميل ، وعباراتها أجمل ، وفيها كثير من شاعرية المؤلف وهدوء نفسه ورقة حسه . وفيها كثير من الموسيقى التي يدهشنا بوجودها في هذا النوع من الشعر المرسل المنطلق . وهذا النوع من الشعر هو محاولة جديدة جريئة من شاعرنا الاعلى باكثيرة . قد يصادفها ما يصادف كل جديد من العيون المتزوية والقلوب المعرضة ... لا أنه يظهر لي من جديتي معه أنه شديد الايمان باصلاح طريقته لاصلاح المسرح العربي والنهوض به

على أني لا أنهم المؤلف في تقييد نفسه بالبحور ذوات التفعيلة الواحدة في حين ان في بعض بحور صاغة سريقته . ومجيب جداً هذا التقييد من مؤلف يريد تحرير الشعر العربي ...

في هذه المسرحية ألوان عديدة من الحب والغيرة ، والمكر والخديعة ، والغلظة والرحمة ، والجمال والجمال ، والشعر والخيال . وهي كما قال الاستاذ عبد القادر مازني في تقديمها " تبشر بظهور كوكب جديد في عالم الشعر "

وحسبها ان تعد امرأ من كل مصري ومن كل عربي يستوعب ما فيها من لذة ومتاع

م . عبد الغني

الاعدام

مجموعة قصص — تأليف دار « المكشوف » ١٥٣ صفحة من القطع الوسط — صدر عن مطبعة المكشوف في بيروت

يعمل الاستاذ فؤاد حبيش صاحب المكشوف على تغذية النهضة الأدبية وتعزيزها . وقد اجتذب في خلته طائفة من خيرة أدبائه لبثان تخرج للناس ثمرها المصفّى . وكان للقصة نصيبها الاكبر من هذا النشاط على يد زعمائها المتان الاستاذة ميخائيل نعيمه وخليل تقي الدين وتوفيق يوسف عوّاد ومحمد مكي ، ولم يقف نشاط صاحب المكشوف عند حدود وطنه بل تجاوزه فأصدر منذ عام عدداً خاصاً عن مصر وثقافتها ، وأثمر قصة رائعة للقصصيّ الكبير الاستاذ محمود بك تيمور . وآخر ما أخرجت دار المكشوف مجموعة « الاعدام » للاستاذ خليل تقي الدين

والاستاذ خليل تقي الدين في طليعة أدباء القصة في الأدب العربي الحديث ، يجمع الى اسلوب القاص روح الشاعر يندمج في إطار قصصه بقلبه وروحه وبفكره وبصيرته كما يندمج الصوفي في مجالي الكون فتستشعر العمق في قصته — العمق الذي يجتذب القارىء الى أغواره دون ملل ، وترى الجلوة المشرقة في أسلوبه تكسب رقة وتشعّ جمالاً

فهو من أحبّ القصصيين إلى نفسي ، عرفتهُ يوم قرأت مجموعته الأولى « عشر قصص » تلك التي تناولتها على مهل ، وهي جديرة بالدرس والتحليل ، وازددت معرفة به ، حين قرأت لهُ المجموعة الثانية « الاعدام » وهي كأختها الأولى كريمة النسج ضمت بضع قصص طرفها الكبرى بالقصة التي جعلت اسماً للمجموعة

فهو في قصة الاعدام يجري على مذهب التحليل النفسي ، ولكن في هوادة ورفق فلا ترى موجة التحليل تصدُّ الشعور المتدفق من النفس الشاعرة . يضع الصور الأولى للفكرة التي يعرضها ويترك القارىء يبحث بفكره هو فيما بين هذه الصور . وهذه مزية الفنان

ولقد يتجلى هذا الرأي في قصصه بوضوح ولا سيّما في أقصوصة « الدين » فهي على بساطتها تنطوي على تحليل دقيق لغريزة الجنسة المكبوتة ، ولكن التجربة الشعورية في حنان وتلطف ، والعرض الخيّر يجعلان القارىء يتنبه إلى الفكرة دون أن تقتحم عليهِ روح الدين بسبب في القصة أو يحاول الكاتب أن يلفت نظره . شأنهُ في ذلك شأن الشاعر في شعره

ومرجع ذلك الى جمال أسلوب هذا القاص ورشاقته وفي اندماجه الكلي في عناصر القصة كما قلت فهو لا يشعر أنهُ ريح أسارٌ ولكنهُ يشعر أنهُ بعرض صورٌ تتكامل وتتحقق . فهو ينسى ولا يكاد يعمد الى تكوين هذه الصورة . ذلك أنهُ يجمع إلى [illegible]

الشاعر الذي يفهم في قصيدته الصورة الشعرية بجميع دقائقها لأن نفسه قد تكشفت فلم يكدّ ذهنه في إزاحة الاستار عنها

اما أقصوصته الحلة « الواحة » فهي قصيدة قلب متفجر تدفقت حرّة فلم تستطع القوافي أن تقف في طريقها بقيد من القيود أو تصد انغامها السارية في عالم غير محدود

انصبري

أعاريد

ديوان محمد فهمي — ١٢٢ صفحة حجم وسط — مطبعة محاري بالقاهرة

اذا قرأت قصيدة للشاعر العاطفي محمد فهمي ، وكنت لا تعرفه وأحببت أن ترسم في خيالك صورة له فلا تحفل بخيالك ، ولا تعدُّ الصورة التي ترتسمُ في ذهنك حقيقة هذا الشاعر لأن بيئة في روحه وطباعه ومخايل وجهه ، وبين شعره ، في ألفاظه ومعانيه تجانساً وانسجاماً

فهو مرهف الاحساس ، متوقد العاطفة ، متوثب الخيال ، قلقٌ بين مجالي الكون ، ولعٌ بألوان الحياة . وكذلك شعره . فهو حين يرى نفسه بين فيض غامر من متع الحياة يهتف

ربّاه ! ربّاه ! نبع الحسن يرويني فتهمل الروح منهُ نهل مفتون

وإذا به بعد ذلك يتململ ويتبرم بهذا كله ، ويحسُّ صراع حرب طاحنة بين روحه وجسده :

نداءان ، كلٌّ منهما بيَ هاتفٌ يحاول أن أمضي اليه ويطلبُ

ويتطلق في ثورة على الجسد ينال من عبّاده ويكشف عن خباياه فيقول :

عجبت لعابد الحسن ألا يدري لمن يسجد ؟
أللجسم ؟ وقد صيغ من الطين ، ولم يجمد
فما جبت فيه أوشابٌ عديد بعضها يفسد
يلفُّ الكلَّ جلبابٌ من الجلد الذي يفقد
وفيه الشرُّ مكنونٌ وفيه النقص لا يجحد
أهذا الفانن المغري أهذا الناعس الأغيد ؟
أهذا كل ما يسبي أهذا كل ما يسهد ؟

ثم يصرخ من أعماق نفس ارتوت فأحست بالمرارة التي تعقب الري وبالحسرة الخالدة التي تلازم نفوس الصادقة الباحثة عن . هو أجنٌّ وأسمى . النفوس التي تودُّ الانعتاق والخلاص ترى لفيد بالهيام حتى اذا استطاعت أن تفلت منه وقفت تطارد الصنم المعبود في معبده

لا يا عابد الحسن جهدت الآن ما تعبد
ولو تسـدري لأقصرت وكنت الآن من يجحد
انه كفنان سحره من الجلد

على ان الشوق والحيرة يعاودانه ، أو قل طبيعة نفسه تعود فتدفعه في بعض من النغم المرتفع فينسى سخطه ، ويغلق أكثر من العباد فتنة في قصيدته الفاتنة « سيريناد »

وانك لا تجد في نفسه زلة الروح ، ولا تشم عبق الشهوة الجامحة ، لأن الصوفية المستولية عليه والتي ساعدت مطالعتهُ كتب التصوف والفلسفة على ابرازها تقون نفسه وتجعله فنًّا روحيًّا ، وهذا سرُّ ابداعه

وله الى جانب ذلك ريشة مصورة ماهرة . على أنهُ لا يكتفي برسم المظهر الخارجي بل يمزج بين نفسه وبين المرئيات ثم يخلق من هذه وتلك صورة قد تكون قريبة من الواقع وقد تكون بعيدة عنهُ لأنهُ يضفي عليها من نسج خياله برودًا ، ويفيض على مرئياته أضواء من روحه كما في قصائده « سحر المتصورة » و « في الغروب » و « المتصورة الفاتنة » و « تعالي »

وقصيدته « الفنان » من عيون شعره الفكري ، أما مسرحيته « حواء جديدة » فهي موكب شعري نظم يزخر بمختلف الخوالج النفسية يعرضها الشاعر في نسق جميل

ان ديوان « أغاريد » نفحة عاطرة تبعث في النفس السلام والراحة في زمن فقدت فيه النفوس راحتها وطمأنينتها وأصبحت في حاجة الى العزاء ، ومن أجدر من الشعراء ببعث العزاء في هذه النفوس المتعة المكدودة ؟

الصيرفي

ذكروني

تظهر الآن في عالم الأدب أدبية جديدة بإزاء أدبها عن نبوغ يجعلها في المستقبل القريب في صف كبار الكتاب الممتازين بأقلامهم وأساليبهم . وهي تمتاز بأسلوب بديع تظهر فيه بشخصية واضحة خاصة تعرف بها وحدها في أي محفل جال فيه قلمها — هي الأديبة البارعة الآنسة سلمى أمين فرّاعة من أسرة عريقة بالجاه والفضل والعلم والأدب ومديرة مكتب مجلة « الصحة » سابقًا

في كتابها « ذكروني » الذي صدر حديثًا وهو باكورة مؤلفاتها ، عالجت الأحوال الاجتماعية من ناحية علائق الفتاة بالفتى في دور الحب والزواج . فقد بحثت في قصص صغيرة وأبحاث أدبية اجتماعية الحبَّ مفردًا في جميع حوالهِ المختلفة — حب متبادل وحب مشترك . والاخلاص في ناحية ، وخيانة في ناحية أخرى ، وزواج موفق وزواج خائب . وتربية نوبة تحمي القلب من خطأ الظنون ، وتربية ضعيفة يتهور القلب مع بوحيه الطائش . وحب قادر على رغم الارادة تارةً الى السعادة وأخرى الى البؤس

وهكذا جمعت هذه الكاتبة الجديدة معظم مجاري الحب في تيارات الاجتماع المختلفة . فهو خطوة موفقة في دار الأدب العربي

ن . خ

مطبوعات جديدة

﴿ الأدب العربي في ماله وفي ما عليه : بقلم الاستاذ دوار مرقص ﴾ — يمكن قارىء هذا الكتيب ان يقف على الشيء الكثير من أسرار الأدب وقوفاً صحيحاً مجملاً يغنيه عن التفصيل اذ أراد الاستغناء ويساعده على تفهم أعظم مساعدة ان أراد ان يتبعه في مطالعة من مطولات الكتب. فيه لمحة عن تاريخ الأدب العربي من نشأته حتى اليوم والنواحي التي اتهم الأدب العربي بالعجز فيها ونحو ٦٠٠ بيت من عيون الشعر العربي

والكتاب يقع في ١٥٠ صفحة من القطع الصغير ومطبوع في المطبعة التجارية بالاسكندرية

﴿ الفلسفة في السياسة القومية وعلاقتها بالبلاد العربية ﴾ — أصدرت زميلتنا مجلة العروة البيروتية الغراء عدداً ممتازاً عن الفلسفة في السياسة القومية وعلاقتها بالبلاد العربية وهي تشمل على دراسات فلسفية ترمي الى تفهم علاقة الفلسفة بالقومية والسياسة فنبذا مقالات عن التفكير الفلسفي وفلسفة السياسة في الماضي عند اليونان والرومان والعرب وفلسفة النهضات القومية واخيراً الفلسفة والنهضة القومية العربية

وواضعو هذه الابحاث لجنة من الطلبة المتصرفين الى مواهبهم الدراسية الخاصة

﴿ الأدب المسيحي ﴾ تأليف الخوري الياس قنواتي راعي طائفة الروم الارثوذكس بالمنصورة

هذا كتاب جليل الفائدة لان مؤلفهُ المفضال جعل غرضهُ الرئيسي البحث عن الآداب والاخلاق الحسنة والصفات المحمودة التي تليق بالمسيحي التي تنطبق على مبادىء الكتب المقدسة وهو يبحث في السيرة التي يجب على المسيحي ان يسيرها

ووسع حضرته في علم الأدب المسيحي وغايته وأقسامه ومبادىءه الأولية في هذا الأدب وعلاقة الانسان بالله وبالقريب ثم فصل البحث في سائر الفضائل والأخلاق اليومية والتربية المحمودة والتعليم الديني وواجبات الانسان نحو الله ونحو نفسه وغيره

فالكتاب تحفة أدبية اذ تكلم المؤلف في تأليفه على الآيات الدينية ونخلت بحوثهُ آيات حكيمة كثيرة وهو يقع في ٢٨٨ صفحة بالقطع الوسط وثمنهُ ١٢ قرشاً

﴿ الكنز المدفون في اسماء الكتب والفنون ﴾ عني الشيخ يوسف توما البستاني صاحب مكتبة العرب بالفجالة بجمع طائفة كبيرة من المخطوطات العربية لم يذكرها صاحب كشف الظنون حتى تكون تكملة لما فاتهُ. وفي هذا الكتيب ذكر لطائفة من المخطوطات العربية في التصوف الاسلامي والفقه على المذاهب الأربعة والتوحيد والمصاحف النادرة والصرف والنحو وفي علوم الفلك والطب والمنطق والفلسفة والدواوين الشعرية والكتب التاريخية والقواميس وكتب اللغة والبلاغة وذكر اسم كل مخطوط اسم مؤلفه وهي معروضة للبيع في مكتبته التي زهيدة بالنسبة الى قيمها الكبيرة

ملاحظات عن ترجمة « البستاني » لطاغور

صديقي الفاضل رئيس تحرير المقتطف الغراء

سلاماً واحتراماً. وبعد فقد قرأت ما نشرتم في العدد الماضي من المقتطف من ترجمة الاستاذ كامل محمود حبيب « للبستاني » لنظم شاعرنا الفيلسوف طاغور فوجدت فيه بعض الكلمات جديرة بالتحشية والتنبيه عليها

وكان طلب مني الاستاذ كامل المراجعة قبل النشر ولكن مع الأسف حالت الظروف القاهرة دون ذلك والكلمات كما يلي :—

(اشوكا) هي شجرة ذات ازهار حمر رائعة تسمى بالافرنجية (Saraca Indica) يصبغ الهنود الوثنيون بعصير أزهارها أحمص أقدامهم. وفي الهند تسمى عندهم « اشوك نشتي » الذي يقام في أواخر ابريل في تكريم الآلهة « وشنو » يشربون الماء وفيه أزهار اشوكا . وقد تغنى بجمال أزهارها كبار الأدباء والشعراء في الأدب السنسكريتي

(بانيان Banyan) هو اسم أطلقه الافرنج على شجرة هندية اسمها بالفارسية « برگد » (بفتح الاول وسكون الثاني وفتح الثالث وهو كاف فارسية وسكون الآخر) وبالأردية « بَرْ » بفتح الاول وسكون الثاني وهو حرف الراء الهندي المفخم) وهي ليست من فصيلة التين وان نعتت به الموسيو الافرنجية ولعلهم حكموا به نشبه بين ثمارها الصغيرة والتين وهي شجرة يقدسها الهنود الوثنيون ويقومون تحتها بطقوسهم الدينية وهي خضراء الاوراق وارفة الظل لاتنحت اوراقها طول السنة وتستحيل الى دوحة عظيمة قوية كما زادت في السن فان من غرائب هذه الشجرة انها ترسل اغصانها الى فوق والى تحت وما ارسلته الى تحت يغرس ويستحيل ساقاً أخرى وعلماً جرًّا ، حتى اذا طال عليها الأمد أصبحت دوحة ذات سيقان كثيرة . ولا يزال في ضواحي كلكته بالهند واحدة منها يقال عمرها اكثر من مائتي سنة يزورها الناس فان الوفاً من أغصانها قد تحولت الى السيقان واحتلت من الارض بضعة فدادين يمكن ان يستظل بضعة آلاف من الجنود وهذه الشجرة توجد في مصر ايضاً على شاطىء النيل عند كوبري الملك الصالح

(سيفا) هو احد الآلهة الثلاثة في الديانة البرهمية (والبرهما) حالق الكون و (ويشنو) رازقه وحافظه ، و (وشيفا) الآلهة الموت واحد الثلوث

وفي الختام أحب أن أوجه نظر الاستاذ الى أنه جمع « ان آوي » على « بنات آوى » وهو خطأ فان جمع « بن آوى » بالعربية خلاف جمعه « بنات آوى » والسلام

السيد أبو النصر أحمد الطيبي الهندي

فهرس الجزء الرابع

من المجلد السابع والثمين

٣٤١ حرب المعادن

٣٥٠ الارتقاء الطبي وتأثيره الاقتصادي والاجتماعي

٣٥٧ على ابراهيم باشا — الاحتفال بعيده المئوي :

١ — لبعي الدين بركات باشا

٢ — والدكتور محيب محفوظ باشا

٣ — والدكتور محمد عبد الحميد بك

٣٦٤ الخالدون (قصيدة) : لجبران خليل جبران

٣٦٥ نهضة علاج امراض العيون بمصر في ربع قرن : للدكتور عيسى حمدي المازني بك

٣٧٣ جايمس رسل لويل : لمحمد عبد الغني حسن

٣٧٧ سلاسل التطورات والمواد اللازمة للحياة : لنقولا الحداد

٣٨٤ انسان المستقبل — صفاته البيولوجية كما يراها أساطين العلم الحديث

٣٨٩ المدرسة الالزامية وتأثيرها وعلاقتها بغيرها : لعبد الله أمين

٣٩٧ طبيب والكهرباء — بدء الانقلاب في علم الطبيعة الحديث

٤٠٢ نظام ديوان الاستخبار في الهند : للسيد أبو النصر احمد الحسيني الهندي

٤٠٥ حديقة المقتطف « البستاني » : للشاعر الفيلسوف طاغور : نقلها محمود كامل حبيب

٤٢١ سير الزمان والحرب الحاضرة — موقف الولايات المتحدة في الشرق الادنى — ليون تروتسكي

٤٣٠ [illegible]

٤٣٢ [illegible]